هل يولّد الإسلام السياسي التطرف والإرهاب؟

د. سعود الشرفات
باحث إستراتيجي أردني

جميع الحقوق محفوظة © 2017
www.hafryat.com

All rights reserved © 2017
www.hafryat.com

مدخل:

بات نقد «التطرف الديني الإسلاموي» السائد في حقبة العولمة الحالية، يعني هجوماً على «الهوية» الإسلاموية، بمعناها الواسع، الذي يدّعيه جلّ المسلمين اليوم، سواء كانوا متدينين أو لا.

والحقيقة أنّ التطرف يزدهر عبر استغلال الدين، بشكلٍ سلبي ومدروس، لمعاناة الناس، ويأسهم، وانكساراتهم اليومية، وشعورهم بقلة الحيلة، خاصة في العالم العربي، ثمّ إنّ الصراع والتطرف الديني يهدّد الإنسانية جمعاء، بمساعدة آليات العولمة، خاصة (التكنولوجية)، وخطورة المنظومة الفكرية المتطرفة، التي تحرّك الجماعات التكفيرية، الكامنة في شعبيته الواسعة جداً، وفي إجماع الشباب عليه، ضمن مجموعات عالمية متخطية للحدود الوطنية، تتمتع بالتمويل الواسع المتعدد المصادر، وهذا التطرف الديني لديه القدرة الهائلة والمستمرة على الإقناع والتجنيد، بفضل آليات العولمة التكنولوجية التي يبرع في استخدامها.

أولاً: السلوك المقلوب لسلوك الهولوكوست

- عن ماذا نتحدث عندما نتحدث عن «التطرف الديني الإسلاموي»؟

إنّ هذا «التطرف الديني الإسلاموي» السائد، كجسمٍ ومكوّنٍ، كما الهولوكوست، فكلاهما له علاقة عميقة بالحداثة والعولمة وتجليتهما المعاصرة.

هذا البحث ليس بحثاً دينياً – لاهوتياً، تراثياً، فلسفياً، مدرسياً، صرفاً، في مسألة «التطرف الديني الإسلاموي»، يشتغل على «كليشيهات» ظاهرة إنسانية جارفة، لكثرة ما يُحكى عنه هذه الأيام، حتى غدا يُلاكُ أكثر من «العلكة» في الأفواه؛ بقدر ما هو محاولة نقدية كلانيّة متواضعة، تسعى إلى فهم هذه الظاهرة، التي أصبحت حقل ألغام لمن حاول، أو رغب، في تحليلها ونقدها لفهمها، والتجرّوء بالتصريح، والقول إنّ هناك متطرفين في الإسلام، من قبل من ينصّبون أنفسهم، أو يدّعون، أو يتبرعون بالدفاع عن الإسلام، سواء من الغوغاء والدهماء، أو من المثقفين ورجال الدين، حتى أصبحت محاذير الخوض في غمار هذه المسألة وخطورته، كخطورة إنكار المحرقة اليهودية (الهولوكوست)؛ التي تستخدم من قبل إسرائيل اليوم، كعذرٍ لشرعنة أفعالها المتوحشة.

وأعتقد؛ بأنه ليس من المستغرب الآن الحديث عن العلاقة الإيجابية، والبرابط الكبير (حتى على المستوى الكمّي-الإمبريقي) بين انفلات سيرورة العولمة، وصعود موجات الإرهاب العالمي المعاصر بشكلٍ عام، والتطرف الديني والإرهاب الإسلاموي بشكل خاص.

وأظنّ، لو أنّ سيرورة العولمة المتسارعة مع بداية القرن العشرين في أبعادها الاجتماعية والثقافية، وهجرة الكثير من الفلاسفة والمفكرين من أصولٍ يهودية، سواء من النمسا أو ألمانيا، وأوروبا الشرقية إلى أوروبا الغربية، وأمريكا، مع ما رافق ذلك من تسارع رهيب في آليات العولمة التكنولوجية، ووسائل الاتصال والمواصلات والتواصل الاجتماعي، وتوظيفها بشكلٍ عبقري؛ وما كانت فكرة، أو إيديولوجيا الهولوكوسات، بغض النظر عن مسألة حدوثها، أو عدمه، لتنجح كلّ هذا النجاح.

يقول الفيلسوف وعالم الاجتماع البريطاني من أصلٍ يهودي بولندي (زيجمونت باومان): إنّ «اليهود أصبحوا «غرباء» بشكل أكبر في أوروبا، بسبب محاولات المجتمعات الأوروبية تجاوز الطبيعة السيئة، وغير المريحة لهم، المزروعة في أصل اليهود، كعنصر أساسي في طبيعتهم[1]؛ لذلك نفى باومان، في كتابه «الحداثة والهولوكوست»، «أن يكون موضوع الهولوكوست هو الجماعات اليهودية، بل هي أحد منتجات الحداثة ذاتها، التي تفرز نفي الآخر»[2].

وقريب من وجهة نظر بومان؛ عدّت المنظّرة السياسية «حنة آرنت»، وهي من أصول يهودية ألمانية، هربت من النازية إلى أمريكا، محاكمة أدولف أيخمان محاولة من الدولة الإسرائيلية ترسيخ دعائمها، عبر محاكمة مسرحية رأت فيها بدايةٍ لاستخدام الهولوكوست أداةٍ سياسية، لا سيما أنّها أُجريت في وقت كان «بن غوريون» يسعى إلى الحصول على المزيد من التعويضات المالية من ألمانيا الغربية. كما كشفت دور المجالس اليهودية في التعاون و»العمالة» مع النظام النازي، ما أثار الشكّ في الادّعاء الصهيوني، في كون اليهود «ضحايا دائمين»، وصاغت مفهوم «عادية الشرّ»، تعليقاً على محاكمة إيخمان، وهو ما أدى إلى اتّهامها بـ «معاداة الساميّة»[3].

وأعتقد أنّ خروج اليهودي- الصهيوني في أوروبا، من حدود قلعته الأسطورية والغيتو، كان عبر المرور في بحرٍ من الأحزان والتضحيات، وبواسطة سفينة الهولوكوست.

على الجانب المقابل؛ ألم يصبح المسلمون، بشكلٍ عام، «غرباء» في أوروبا اليوم؟ ألا يعيش الكثير منهم في الـ «غيتوهات» والأحياء المهمشة في أطراف المدن، معزولة الروح والهوية، سواء بفعل ظروف خارجة عن إرادتهم، كالتهميش والإقصاء المتعمّد،

---

1 https://ar.wikipedia.org/wiki/%D8%B2%D9%8A%D8%AC%D9%85%D9%88%D9%86%D8%AA_%D8%A8%D9%88%D9%85%D8%A7%D9%86#cite_note-9.

2 الحداثة السائلة، ترجمة: حجاج بو جبر، تقديم: هبة رؤوف عزت، الشبكة العربية للأبحاث والنشر، الطبعة الأولى، بيروت، 2016، ص 13.

3- Zoe Williams (2017), Totalitarianism in the age of Trump: lessons from Hannah Arendt, https://www.theguardian.com/us-news/2017/feb/01/totalitarianism-in-age-donald-trump-lessons-from-hannah-arendt-protests.

أو بسبب تفسيراتهم الخاصة لمسألة الهوية والتعاطي مع الآخر؟

وهم في ذلك كلِه، أصبحوا اليوم مثار شكٍ وريبة، إن لم نقل (ترفقاً) مثار رعب للعالم، ومصدراً منتجاً للإسلاموفوبيا. وبالطبع، هم ينكرون بشدِة، ويرفضون بشدِة، ويردون بشدِة وعنفٍ أيضاً، على كل من يشير بإصبع الاتهام لهم بالتطرف الديني أو الإرهاب، حتى وإن كان المعنيّ، والمقصود، من يقوم فعلاً بالعمليات الإرهابية، أو يفجِر نفسه في الساحات العامة. رغم وجود فرضيات كبيرة لعمالة كلِ التنظيمات الإرهابية الإسلاموية للغرب، سواء أمريكا أو أوروبا، وهو، بالمناسبة، يُذكِرنا بفرضيات آرندت عن عمالة الصهيونية للنازية.

لقد أظهر استطلاع للرأي، نُشرت نتائجه في 12 آذار (مارس) 2016، أنِ الغالبية الساحقة للشباب العربي ينبذون تنظيم داعش، وشمل الاستطلاع، الذي أُعلنت نتائجه في دبي، 3500 شخص، تراوح أعمارهم بين 18 و24 عاماً، أجراه معهد «بن شوين بيرلاند» الأميركي، في الفترة بين 11 كانون الثاني (يناير)، و22 شباط (فبراير) من عام 2016، في دول مجلس التعاون الخليجي، وعشرة دولٍ عربيةٍ أخرى، منها: العراق، ومصر، واليمن، وليبيا، وتونس([4]).

لكن، لماذا (لا / لم) يخرج المسلمون بمسيرات ومظاهرات حاشدة ضدِ التطرف الديني والإرهاب، الذي يُرتكب باسمهم بشكلٍ عام، سواء كان من داعش، أو بوكو حرام، أو غيرها؟ لماذا لا يرفضون هذا التوظيف؟

لماذا يتملك المسلمون الحماس والهيجان العنيف ضدِ كلِ من يحاول الإساءة للإسلام في العالم، فخرجون في مظاهرات ومسيرات واحتجاجات عنيفة، في الشواراع، والساحات، ووسائل الإعلام العالمية، وتنظِم حملات ودعايات المقاطعة، سواء للدول أو الأشخاص، ويصمتون عن من يهاجم، ويسيء، لروح الإسلام وتسامحه، من الجماعات الإرهابية التي ترفع راية الإسلام، وراية «لا إله إلا الله محمد رسول الله» مثل تنظيم داعش؟!

وأظنّ أنِ العالم لا يزال يتذكِر، بفعل عولمة الاتصال والتواصل، ووسائل الإعلام، يوم 11 كانون الثاني (يناير) 2015، حين خرجت مظاهرة شارك فيها أكثر من مليون شخص، تجمِعوا في العاصمة الفرنسية باريس، للتنديد بالهجوم الإرهابي على صحيفة «شارلي إيبدو» الساخرة، في 7 كانون الثاني (يناير)، وأسفر عن مقتل 12 شخصاً.

ومن بين عشرات الرؤساء، ورؤساء الوزراء الذين شاركوا في مظاهرة باريس، سِجِّل حضور قادة ومواطنين عرب، تعاني بلدان بعضهم من بطش تنظيم داعش، أو تخشى من تعرّض أراضيها لهجمات المتشددين.

وبعد مرور أكثر من عامين على تظاهرة باريس، لم تشهد أيّة دولة عربية مظاهرة مماثلة (مع بعض الاستثناءات في الأردن، وتونس،

4 -عنفار سيدي الجاش (2016)، لماذا لا يتظاهر المسلمون ضد داعش؟ نتائج الاستطلاع على صفحة قناة «الحرة» على الرابط:
isis/304080.html -https://www.alhurra.com/a/why-arabs-do-not-protest-against

وبعض المدن في سوريا) رغم أن البلدان الإسلامية والعربية، هي الأكثر تضررا من جرائم داعش.

المعضلة؛ هي حجم النفاق في هذه المسألة! إن معظم المسلمين -بشكلٍ عامٍّ- يصف أفعال الجماعات الإرهابية (القاعدة وداعش وغيرها) بالتطرف الديني، والإرهاب، والخروج على روح الإسلام' لكن إذا تمت مهاجمة، ومحاربة، هؤولاء المتطرفين الذين يرفعون شعارات إسلامية، ووصفوا بالتطرف الديني، انقلبوا بعنف، وغلظةٍ، وتشفٍ مقززٍ بأرواح الضحايا، والدول التي تتعرض للإرهاب، سواء كانت إسلامية أو غيرها.

ولعلِ مرورا سريعا على تعليقات المتابعين على صفحات التواصل الاجتماعي، يعطي مؤشرا على الاتجاهات الحقيقية والمباشرة لسيطرة هذه النظرة، بحجة الدفاع عن روح الإسلام، ونفي التطرف الديني عن الإسلام.

إنه سلوك مقلوب لسلوك الهلوكوست اليهودي الصهيوني، يجبرك مرغما على تصديق المحرقة، وإلا أحرقك هجوما وتضييقا، ومتابعة، واتهمك بمعادة السامية. والإسلاميّ المأزوم يجبرك مرغما على نفي وعدم تصديق (محرقته الشخصية)، المتمثلة بتطرفه الديني، ويتهمك بالكفر والخروج على الإسلام، إن كنت مسلما، وبمعادة الإسلام والمسلمين إن كنت غير مسلم.

- ماذا يعني أن تنقد «التطرف الديني الإسلاموي»؟

بات نقد «التطرف الديني الإسلاموي»؛ السائد في حقبة العولمة الحالية، يعني هجوما على «الهوية» الإسلاموية، بمعناها الواسع، الذي يدعيه جلِ المسلمين اليوم، سواء كانوا متدينين أو لا.

لقد كان (هربرت ماركوز) يُحاجج، منذ بداية هذا القرن، بأنِ «كلِ ما يُمارس اليوم تحت اسم التسامح، هو، في معظم تجلياته الواقعية، يخدم أسباب الاضطهاد». وكان جاك دريدا، الذي اقترح مفهوم الضيافة بدلا من التسامح، قد رفض مفهوم التسامح في كلِ الديانات الإبراهيمية؛ لأنِ فكرة التسامح، في نظره، «غير ملائمة للاستخدام في السياسات العلمانية؛ فنغمتها الدينية، بجذورها العميقة الضاربة في مفهوم التسامح المسيحي، التي تم تكييفها لغويا بنفس المعنى في الإسلام واليهودية، تحبط أيّ ادعاءٍ بكونية قيمتها»[5].

وأعتقد أنِ هذا يبدو صحيحا نوعا ما، بما أنِ التجلي العملي للتسامح محايث للبرجسية والشعور بالتفوق، وربما القوة الهائلة، إلا

55- بورادوري، جيوفانا (2013)، الفلسفة في زمن الإرهاب: حوارات مع يورغن هابرماس وجاك دريدا، ترجمة وتقديم: خلدون النبواني، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، بيروت، الطبعة الأولى، ص ص 53-55.

إذا تسامحت النعجة مع الذئب المنفرد.

ماذا نفعل إذا تجاوزنا «عتبة التسامح»[6]، وعجزنا عن فعل التسامح، النابع أصلاً من حقيقة عدم قدرتنا على تملّك أسبابه الموضوعية؟

أعتقد أننا نقوم بأفعال مختلفة، كلها تنفرط في ساحة الاضطهاد، وبما أنّ «قول اللسان والكلام أضعف الإيمان»، والكلام يمكن أن يؤدي إلى الأذى النفسي، فإنّ تراكم هذا الأذى يتحوّل إلى عنفٍ لفظي، وهذا بدوره يتحوّل إلى تطرف فعلي (عملي وغير عملي)، سيتحوّل إلى إرهاب عنيف، إذا لم يُعالج.

ومثلما أدّى عجز السياسيين والفلاسفة والمفكّرين في الغرب، في بداية القرن العشرين، عن مواجهة إرهاصات التطرف القومي والديني، الذي تجلّى في النظم الشمولية، مثل: النازية، والفاشستية، والصهيونية لاحقاً، وأدى إلى دمار، وإلى مآسي الحرب العالمية الأولى والثانية. إن عجزنا اليوم عن نقد «التطرف الديني والإسلاموي»، سيؤدّي بنا إلى مهالك، تجلّى لنا أقلها ضرراً، في ظهور جماعات ومنظمات تدعي الإسلام، مثل: داعش، وبوكوحرام، وغيرها.

وأعتقد أنّ كل إيديولوجيا، مهما كانت متينة ومنمّقة وباهرة، تقتلها إيديولوجيتها في النهاية، والدين الإسلامي، مثل بقية الأديان، تحوّل، مع سيرورة الحداثة والعولمة المعاصرة، إلى مجرد إيديولوجيا فقدت العمق السياسي والاجتماعي، فأصبحت غير مركزية (وإن كانت تبدو كذلك)، وماضويّة، ومتعبة، وشاحبة، ورخوة، لكنها ما زالت قابلة للتأويلات، ثم نبتت له مخالب، وأنياب قواطع، وسلطة مطلقة، وجبروت امتصّ نسغ السلطة القهريّة من النص الديني، وفي فترة مبكرة جداً من الزمن، وتحديداً بعيد وفاة الرسول محمد، عليه السلام، وبجهد منظمٍ ومدروسٍ، من بعض النخب والسلطة المستفيدة، وبهدف الاستمرارية في السلطة، وإجازة أجندات خاصة تحفظ بقاءها، تحوّل إلى وحشٍ كاسر، ثم إلى مسخٍ (فرانكشتاين)، لم ينجب إلا «غلمان أشأم كلّهم»، الذين جلبوا الدمار، والقهر، والبؤس، عبر متوالية هندسية من الاغتيالات، وقطع الرؤوس والأطراف، والسِحل، والتهجير القسري للبشر، والنخاسة، والاغتصاب، وتجارة الأعضاء البشرية، حتى تهريب الآثار التاريخية، والاختطاف، والاستعباد، ثم العمليات الانتحارية والتفجيرات، وحرق البشر أحيا. وكلّ ذلك يتم تحت راية وشعارات إسلامية، يرفعها هؤلاء صراحة، ودون نفاقٍ، وأمام أنظار العالم، مستفيدين من آخر منتجات العولمة التكنولوجية في الاتصالات، والمواصلات، والإعلام، ووسائل التواصل الاجتماعي.

ثم نتج عن ذلك، أن هذه (الإيديولوجية) المرعبة أخذت شكلها وعمقها مع سيرورة التطور، وانسلخت عن الدولة كسلطة قهرية وحيدة، وأصبحت آليةً، أو أداةً، سهلة الاستخدام والتوظيف من قبل مجاميع كبيرة من الأطراف الفاعلة، وهي الدول التي تستخدمها «كقوة صلبة» في المناطق التي لا تستطيع تلك الأطراف المجازفة فيها، أو الظهور، لظروف مختلفة، كما نرى اليوم في ساحات العراق، وسوريا، واليمن، وليبيا، والصومال.

وأنا على قناعة تامة، أنّ أهم دافعٍ للكثير من التطرف الديني، والعنف، والإرهاب القائم على الإسلاموية في الحقبة الحالية من

6- المرجع السابق، ص 54.

العولمة، يستند إلى قاعدة صلبة وعميقة من القناعات الدينية المتينة والراسخة، وأنّ «الوزن النسبي» لهذا العامل يفوق الأوزان النسبية بكثير، لبقية الأسباب، الكثيرة والمختلفة، التي تسهم في انفلات التطرف الديني.

إنّ الفكرة القائلة «إنّ الناشطين والمقاتلين الذين يقودون كل هذه التنظيمات، يتعرضون لغسل دماغٍ، أو إنهم فقراء، وعاطلون عن العمل، وبسطاء، وغير متعلمين، ويعانون مشكلات نفسية، هي فكرة خاطئة، أو- على الأقل- لا تشكّل مقاربة متماسكة لتفسير التطرف الديني الإسلاموي؛ ليس هذا فحسب، بل هي في غالب الأحيان طريقة اجيرحها، سواء بقصد أو لا، يحاول فيها الغرب التقليل من شأن الدوافع الدينية للتطرف الديني الإسلاموي، وهذا هو الخطأ الذي يستمر باقيرافه الغرب العلماني و(الليبرالي) الموجّه نحو الفرد، وتتمثل حصيلة ذلك في عجز متواصل عن رؤية بعض القوى المحفزة، التي تكمن خلف هذا التطرف المتشدد والمسلح، وبذلك تزيد صعوبة التعامل مع هذا الأخير، ويستحيل، تقريباً، ولو بنسبة ضئيلة، تغيير هذه البرعة التي لا تنفك تشهد مغادرة الأفراد من الغرب للانضمام للقتال في منطقة الشرق الأوسط، وشمال إفريقيا, وكذلك في آسيا الغربية والوسطى، في سوريا، والعراق، وليبيا، واليمن، والصومال.

فداعش، على سبيل المثال، مؤسّسة من هذه المؤسسات التي لا صلة لها بالمؤسسة الدينية الرسمية، هذه المؤسسات الاحتجاجية، التبشيرية، الثورية، بعيدة كلّ البعد، في أهدافها وفي ممارساتها، عما كانت تتسم به المؤسسة التقليدية، سواء الرسمية أو حتى المعارضة، ولعلّنا لا نبالغ إذا اعتبرنا ما يقوم به المنخرطون في ما يسمّى بداعش، من إقامة الحدود بشكل همجي، والتنكيل بالمخالفين، وقطع رؤوسهم واستعباد نسائهم، وما إلى ذلك مما يقتضيه الجهاد، في نظرهم، ديناً جديداً متفرّعاً عن الإسلام، لكنه أبعد ما يكون عن مؤسسات الإسلام التاريخية، ولا أدلّ على ذلك من أنّ نسبة كبيرة من المنضوين تحت لواء داعش، ليسوا من أبناء المسلمين؛ بل جاؤوا إليها من مشارق الأرض ومغاربها، للتخلص من حالة الضياع والتهميش، التي يشعرون بها في بيئاتهم الأصلية»([7]).

إنّ الدين حينما يلتبس السياسة، أو العكس، يتحول إلى منتجٍ مدمّر، وتبتعد الأسباب الأخرى للتطرف والغلو والإرهاب إلى الوراء، ذلك أنّ هناك كثيراً من الدول والمجتمعات التي تعاني الفقر والفاقة، وتردى بها مؤشرات التنمية، بيد أنها، في المقابل، لا تعاني التطرف والغلو والإرهاب، وهناك دول ومجتمعات أخرى تربّع على قمة مؤشرات الرخاء الاقتصادي والتنمية، وتعاني الإرهاب الداخلي، أو المحلي، أو الإرهاب ذا المنشأ المحلي، وهي عرضة للإرهاب العالمي.

كلّ ذلك جاء نتيجة أنّ الدين، بشكلٍ عام، في ادّعائه القداسة، واحتكاره الصواب، ورفعه راية التسامح؛ هو الأكثر قدرة على إنتاج سلسلة تداعيات لا نهائية، من البرجسية، والأنانية، والكراهية، وبناء جدران، صلبة وسميكة وعالية، من الهويات المتخيلة، والتمييز بين البشر في مصفوفة معقّدة، تتكوّن من؛ نحن والآخر، ونحن وهم، وهكذا.

7- الشرفي عبد المجيد، (2017)، تحوّلات المؤسّسة الدينيّة في زمن العولمة، مؤسسة «مؤمنون بلا حدود» على الرابط:
http://www.mominoun.com/articles/تحولات-المؤسسة-الدينية-في-زمن-العولمة-5397

والحقيقة أنّ التطرف يزدهر عبر استغلال الدين، بشكلٍ سلبي ومدروس، لمعاناة الناس، ويأسهم، وانكساراتهم اليومية، وشعورهم بقلة الحيلة، خاصة في العالم العربي، ثمّ إنّ الصراع والتطرف الديني يهدِد الإنسانية جمعاء، بمساعدة آليات العولمة، خاصة (التكنولوجية)، وخطورة المنظومة الفكرية المتطرفة، التي تحرّك الجماعات التكفيرية، الكامنة في شعبيته الواسعة جداٍ، وفي إجماع الشباب عليه، ضمن مجموعات عالمية متخطية للحدود الوطنية، تتمتع بالتمويل الواسع المتعدد المصادر، وهذا التطرف الديني لديه القدرة الهائلة والمستمرة على الإقناع والتجنيد، بفضل آليات العولمة التكنولوجية التي يبرع في استخدامها.

ويؤكِد وليد عبد الحي أنّ «الإيمان الديني، في أي دين كان، يتسم بحصانة معرفية، يطمئنّ لها صاحبها، وتثري هذه الحصانة تراكمات تراثية، وخبرات تاريخية، تيسّر مرونة هائلة في التكييف المعرفي للتغيرات المجتمعية في شتى الميادين، فإذا علمنا أنّ هناك أربعة أديان كبرى (المسيحية) 32%، (الإسلام) 23%، (الهندوسية) 15%، (البوذية) 7%، وأنّ هناك حوالي (21) ديانة أخرى، يشكِل أتباعها حوالي (12%)، بينما يصنِف حوالي (11%) من الذين لا يتبعون أي دين «اللادينيين»، فإنّ خريطة العلاقة الصراعية بين هذه الأديان، شكِلت جزءاٍ هائلاٍ من فصول التاريخ البشري، غير أنّ رصد العلاقة بين هذه المجموعات الدينية، يشير إلى ثلاثة أنماط من الصراع الذي أفرزته:

1- صراع بين دين ودين: كالصراع بين الإسلام والمسيحية، أو الهندوسية، أو الصراع بين الهندوسية والبوذية، أو بين اليهودية والمسيحية.

2- صراع داخل كلّ دين: إذ إنّ أغلب الأديان، عرفت ظاهرة التشظي، سنة وشيعة، في الإسلام، و(كاثوليك) و(بروتستانت) في المسيحية.

3- صراع بين كل الأديان والعلمانيين: ففي كلّ مجتمع يوجد متدينون وعلمانيون، وبينهم تنافر حادٍ يصل أحياناٍ إلى حدِ المواجهة.

وتتمثِل المشكلة الكبرى، في أنّ أتباع كلّ دين لديهم قناعة تامة ومطلقة بأنهم على حق، وأنّ الآخر هو دونه، بغض النظر عن توصيف هذه الدونية، فالأديان التي تصف نفسها بأنّها سماوية، يبلغ عدد أتباعها ما بين (50-56%) من سكان العالم (تتباين الإحصاءات من جهة لأخرى)، لكنّ ذلك يعني أنّ هناك ما بين (45-50%) من سكان العالم لا يؤمنون بهذه الأديان، ولا يقبلون «سماويتها»، كما أنّ أتباع الأديان السماوية ينظرون إلى الأديان الأخرى بنفس الطريقة، ويرون أنّها دونها في درجة الهداية والإيمان.

وعند النظر في حجم العنف في الحروب الدينية، يتبين من الدراسات التاريخية أنّ الأديان خاضت ضدِ بعضها، أو فيما بين طوائفها، حوالي (143) حرباٍ كبرى، وحوالي (270) حرباٍ طائفية متوسطة وصغرى، خلال ألفي عام، أبرزها مثلاٍ: حرب الثلاثين سنة (1618-1648) بين (الكاثوليك والبروتستانت)؛ التي وصل عدد القتلى فيها إلى حوالي (7) ملايين قتيلاٍ. بينما قتل في الحرب الأهلية (الفرنسية) بين (الكاثوليك والبروتستانت)، في نهاية القرن السادس عشر، حوالي (3) ملايين شخصاٍ. وأدّت الحروب الصليبية بين المسلمين والمسيحيين إلى مقتل حوالي (3) ملايين إنساناٍ، ناهيك عن حروب السنة والشيعة، والهندوس والبوذيين.

مع ذلك، فإنّ كلّ هذه الأديان تدعو إلى المحبة والسلام؛

ففي الإسلام: جاء في القرآن: {إِنَّ اللهَ لا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ}، وفي المسيحية: جاء في الإنجيل: «من ضربك على خدك الأيمن فأدر له الأيسر». وفي (الطاوية): «الجندي الجيد هو الجندي الذي لا يحارب، ومن يقتل لأيّ سبب لا يجد في القتل سعادة»، وفي (الكنفوشية)، وفي اليهودية «إذا وصلتِ مدينة فاعرض السلام على أهلها أولاً»، «لماذا نقتل بعضنا إذا كنا نقف على نفس الأرض، وتظللنا ذات السماء، وتشرق علينا ذات الشمس».

إنّ الأديان تجعل أتباعها ينظرون «بتعالٍ» إلى أتباع الأديان الأخرى، كما تقدّم مبرراً أخلاقياً لأتباعها لاستخدام العنف ضدّ خصومهم، ويرسم كلّ دين صورة مشوهة للدين الآخر، فالمسلمون يعتقدون أنّ (الهندوس) يعبدون البقر، وهو أمر غير صحيح على الإطلاق، والمسيحي يصوّر الإسلام بطريقة معينة، تقابلها صورة إسلامية للمسيحية، وهكذا اليهودية، وكافة الأديان في مواجهة بعضها؛ لذا سيبقى الصراع قائماً بين دين ودين، وداخل الأديان، وبين الأديان والعلمانيين[8].

ذلك يعني؛ أنّ ما نراه في واقعنا الإسلامي العربي المعاصر، من تفجير المساجد، وحرق الكنائس، والتنابز بين العلمانيين والدينيين، ليس إلّا تكراراً لظاهرة عرفتها كل المجتمعات، وفي كلّ المراحل، مع فارق وحيد، هو أنّ بعض المجتمعات، خاصة في الغرب، اكتشفت معادلاً أخلاقياً بديلاً عن العنف لإدارة الخلاف والصراع، بينما نحن نصرّ على ثبات النمط المغلق، أو الصفري، لإدارة الصراع والحوار، والدفاع عن طهرانية تشوّهت، وأصبحت مجال شكوك.

إنّ الدين يجعلنا، أكثر من أي عامل آخر، متميزين ومختلفين عن الآخرين، أولاً وقبل كلّ شيء، الدعوة إلى التسامح، والمحبة، والسلام، ومكارم الأخلاق، ثمّ إنّ هذا الاختلاف المختلط بالبرجسيّة عن الآخر، الذي تساعد في نشره آليات العولمة، هو الحاجز الأول في وجه المحبة، والتسامح، والسلام الذي تدعو إليه الأديان، وهو ما يدفع إلى الحرب والتطرف والإرهاب، رغم تأكيد الدراسات الكمية أنّ سيرورة العولمة قد وضعت مزيداً من القيود على الحريات والشعائر الدينية في العالم، بدلاً من توسيع رقعة التسامح بين الديانات، ما أدّى، بدوره، إلى تسارع محايث في ظاهرة التطرف الديني الإسلاموي وتداعياته.

بالتأكيد، هناك عوامل أخرى، تؤدي إلى التطرف الديني الإسلاموي (لكنها عوامل ثانوية)، لذلك أرى، وأركز، على أنه لا بدّ من مقاربات كلانية لفهمه، وتحليله، في سبيل نقده إيجابياً، فهو لم ينشأ بلا مقدمات، بل له من الأسباب والدوافع الكثير، التي من المهمّ معلافتها، لأنها مفتاح الفهمبالنسبة إلينا، والتحليل الموضوعي الدقيق.

---

8 - الشرفات، سعود، (2016)، خرافة الدين والتسامح: إسلام المجتمع المأزوم، مؤمنون بلا حدود، نوفمبر، قسم: الدين وقضايا المجتمع الراهنة، على الرابط:
http://www.mominoun.com/articles/%D8%AE%D8%B1%D8%A7%D9%81%D8%A9-%D8%A7%D9%84%D8%AF%D9%8A%D9%86-%D9%88%D8%A7%D9%84%D8%AA%D8%B3%D8%A7%D9%85%D8%AD-%D8%A5%D8%B3%D9%84%D8%A7%D9%85-%D8%A7%D9%84%D9%85%D8%AC%D8%AA%D9%85%D8%B9-%D8%A7%D9%84%D9%85%D8%A3%D8%B2%D9%88%D9%85-4495،

وتمتدِ الأسباب والدوافع، ابتداءٍ من الشخصية (السيكولوجية) المتعلقة بالإحباط، والبرجسية، واليأس، والشعور بالتهميش وعدم الأهمية، والدونيّة، والهواجس الداخلية للأفراد، حتى تصل إلى أعلى درجات التعقيد والتشابك، في الأسباب السياسية والثقافية الاقتصادية والاجتماعية والدينية، والبنى الفكرية، والعمليات التعليمية و(الإيديولوجية). والمعضلة الماثلة أمامنا هنا؛ أنِ كلِ هذه الأسباب مجتمعة، تنفخ فيها وتعظمها رياح العولمة، عبر آلياتها التكنولوجية المختلفة خاصة، ولفهم ذلك؛ تتسارع المدارس الفكرية والنظريات، وكلٍ منها يحاول تقديم الحلول، وتوظيف الحالة حسب معطياته ووجهات نظره.

وأرى أنِ المرعب في الأمر؛ هو استمرار حالة السلوك المقلوب للهلوكوست، حالة الإنكار، ورفض النقد الإيجابي، لوجود حالة التطرف الديني والإرهاب الذي يتحايث مع استمرارية وتيرة «دوامة التوحش»، وهذا الشعور باللذة الآلية الذي يمنحه تنسيق عملية الانتحار الجماعي الفكري والجسدي، الذي تمارسه الجماعات الإرهابية الإسلامية الحالية، مثل: داعش، وبوكوحرام، من خلال تحريض أتباعها على القتال حتى الموت، وعدم الانسحاب والاستسلام، مثال ذلك؛ معركة الموصل، والرسالة الصوتية التي تنسب إلى أبي بكر البغدادي (لم يتم التحقق من صحتها)، التي بُثِت صباح الثلاثاء 1 تشرين ثاني (نوفمبر) 2016م، وحثِ فيها المقاتلين على القتال، وعدم الانسحاب، وشنّ هجمات انتحارية، والرسالة (التي نشرتها مجلة النيوزويك الأمريكية باللغة العربية، في 8 آب (أغسطس) 2016، التي أرسلتها قيادة داعش إلى القائد العسكري لمدينة منبج شمال سورية، أبو يحي الشامي، قبل أربعة أيام من سقوط المدينة بيد قوات سوريا الديمقراطية، التي طلبت منه القتال حتى الموت، وعدم الانسحاب، وقتل كلِ من يهرب من المعركة، وكلِ من يفكِر بالانسحاب أو الاستسلام.

وكما يقول إيريك هوفر، في كتابه «المؤمن الصادق»: إنِ «آلية غرس الاستعداد للقتال والموت، تتكوّن من فصل الفرد عن نفسه، عن شخصه المكوّن من لحمٍ ودمٍ، وعنه، من أن يكون ما تريده نفسه الحقيقية أن يكون، ويتحقق هذا الهدف بتذويب الفرد في المجموعة الموحدِة المترابطة؛ بإعطائه نفساً جديدة متخيلة؛ بأن تغرس فيه اتجاهاً إلى احتقار الحاضر، وشغفاً بالأشياء القادمة التي سوف تجيء في المستقبل؛ بأن نضع حجاباً بينه وبين الحقائق؛ بشحنه بالعواطف المتفجِرة، على نحوٍ يجعل من المستحيل عليه أن يعيش مع نفسه»([9]).

ومن المعروف، بشكلٍ عام، أنِ الحركات المتناسقة التي تؤدِيها جماعة من الأشخاص، بوتيرةٍ واحدةٍ، تخلق لهم نوعاً من اللذة، بغض النظر عن غرضهم من تلك الحركات([10]).

ويلاحظ أنِ (ديناميكيات) العولمة، المتمثلة بوسائل الاتصال والمواصلات والإعلام، مثلما ساعدت في ترسيخ (الحركات المتناسقة التي تؤديها جماعة من الأشخاص بوتيرة واحدة)، فقد ساعدت، أيضاً، في نشر النظرة السلبية إلى الإسلام وتنميطها، فقد عززت التغطية الإعلامية الواسعة (المعولمة)، التي حظيت بها أفكار ابن لادن والظواهري، وأبو مصعب الزرقاوي، وأبو بكر البغدادي،

99- هوفر،أريك (2010)، المؤمن الصادق: أفكار حول طبيعة الحركات الجماهيرية، ترجمة: غازي القصيبي، هيئة أبوظبي للثقافة والتراث، كلمة، ص 111.

1010- ماركوز، هربرت، (1973)، الإنسان ذو البعد الواحد، ترجمة: جورج طرابيشي، دار الآداب، بيروت، الطبعةالثالثة، ص ص 62-63.

وأسماء مثل: داعش، وبوكو حرام، وحركة الشباب، وكتائب بيت المقدس، والعمليات الإرهابية المتوحشة التي تنسب إلى هذه الجماعات، في ترسيخ النظرة إلى الإسلام في الغرب والعالم، على أنه ديانة متطرفة، ترفض النقد والمراجعة، وترفض الآخر، وتسعى إلى الهيمنة على العالم من خلال الإرهاب وأدواته التدميرية، في سبيل إقامة الخلافة الإسلامية.

لقد أصبح «التطرف الديني الإسلاموي» يسحب، ويدفع في الوقت نفسه، قاطرة الإرهاب من خلال الفعل الإرهابي، بما يحشد ويسند دعوات في الغرب كادت أن تتلاشى؛ كنظرية (صموئيل هنتنغتون) لصراع الحضارات، الذي حِصر، في وقتنا الحالي، بين الإسلام والغرب، ورسّخ الاعتقاد في الأوساط الغربية أن الإسلام بالفعل يمثل تهديداً يتخطى الحدود القومية، وأنه خصم حضاري مرعبٌ وعنيد[11]

ثانيا: التطـــرف الدينـــي الإسلاموي

- جـــذور التطـــرف الدينـــي في الإسلام السياسي

يمكن القول إنّ الإسلام السياسي، كإيديولوجيا، بدأ مسالماً متسامحاً، يدعو إلى الحرية، والمساواة، واحترام الحقوق، في الشكل، لكنه ينتهي، في كل مرة، متطرفاً، ثمّ إرهابياً، سواء على مستوى الأفراد والجماعات، أو الدول، حيث يمارس قادته وزعماؤه إرهاب الدولة.

وأعتقد أنّ معضلة الإسلام السياسي؛ هي أنه وُلد محايثاً للعنف الذي يولده التطرف بكلّ أشكاله، الفعلية أو الرمزية، ولا يوجد نموذج واحد للإسلام السياسي، يخلو من التطرف الديني، والعنف بأشكاله المتعددة والمختلفة. إنّ هذا مردّه إلى أنّ سيرورة العنف والتطرف الديني، محايثة للأديان جميعها، ولا تقتصر على الدين الإسلامي فقط. وعليه، أعتقد أنّه ليس هناك أيّ مستقبل للإسلام السياسي، دون استخدام العنف والقهر، وتقييد الحريات، وصولاً إلى الإرهاب الفعلي.

إيران (الشيعية) مع تركيا (السنيّة)، كمحاور دولية مهمة في العالم الإسلامي، والنظام الدولي المعاصر، أمثلة حية على كيفية إدارة إرهاب الدولة من قبل نماذج للإسلام السياسي، دون أن ننسى نموذج حماس في غزة، وحزب الله في لبنان، وفشل نموذج الإخوان المسلمين في مصر.

والمثير في الأمر، حسب اعتقادي، أنّ جلّ الخلاف حول هذه المسألة، يدور في فضاء اللغة، ولغة الحوار، والتواصل بين الفاعلين

1111- بيليس، جون وستيف سميث، (2004)، عولمة السياسية العالمية، ترجمة ونشر مركز الخليج للأبحاث، الطبعة الأولى، ص804.

الاجتماعيين، والمتحاورين في الفضائين، العام والخاص، في عالمنا العربي تحديداً.

هناك الكثير من المصطلحات في اللغة العربية، وغيرها، تثير نوعاً من التوتر النفسي، وعدم الانسجام مع المحيط، وتحفزاً يستدعي ردود فعل مقابلة؛ تتجلى بالرد العنيف، وهذا الرد العنيف قد يتطور ويتكثف بسرعة، ليأخذ شكل الفعل العنيف، عبر مخرج الإرهاب.

لذلك، يقول المؤرخ البريطاني «نيل فيرجسون»: إن «هناك اعتقاد اليوم، بأنه بما أن الكلمات يمكن أن تسبب التوتر، والتوتر يمكن أن يُسبب تأثيرات نفسية، فإن الكلمات المتوترة؛ هي شكل من أشكال العنف[12].

والخطاب حمال أوجه، حتى في أكثر تجلياته وضوحاً، والمصطلحات والمفاهيم تخضع للتطور التاريخي، والأدابي، ولبيئة الأفكار، لذلك؛ أرابي أميل إلى عدم الاطمئنان، إلى مراوغة والتباسات اللغة، بالمعنى الذي تحدث عنه الفيلسوف (لودفيج فغنشتاين)؛ الذي يرى أن حدود العالم للفرد مرتبطة بحدود لغته، وعدم الخوض كثيراً في الاشتقاقات اللغوية أولاً؛ لأنني لست مختصاً باللسانيات واللغة، وثانياً؛ لأن هذا الجهد لن يزيد البحث إلا تعقيداً.

أسوق هذا المدخل المختصر والمكثف، ليكون عتبة للدخول في مصطلح التطرف، كأداةٍ رئيسةٍ في قلب نماذج الإسلام السياسي. الآن؛ إذا نظرنا إلى مفهوم التطرف نظرةً سريعةً تقليديةً، على جري المهتمين بالظاهرة، فإننا سنجده مشتقاً لغوياً من الأصل الثلاثي طرف، (رجل طرفٌ، ومتطرفٌ؛ لا يثبت على شيء، أو أمر، ورجل طِرفٌ؛ لا يثبت على أمرٍ، ولا صاحب له[13].

ومن ذلك، نرى أن التطرف يحمل معاني:

- التغير والحركة.
- عدم الثبات على الشيء.
- الخروج باستمرار على حالة السكون.
- السعي إلى التغير.
- الانزواء والاعتزال.

12- Stephens, Bret (2017)The Dying Art of Disagreement - https://www.nytimes.com/2017/09/24/opinion/dying-art-ofdisagreement.html?rref=collection%2Fcolumn%2Fbret stephens&action=click&contentCollection=opinion&region=stream&module=stream_unit&version=latest&contentPlacement=1&pgtype=collection

13- ابن منظور، لسان العرب، ج 5، ط 3، دار إحياء التراث العربي، بيروت- لبنان، ص215.

- البعد عن المركز وجماعة الناس.
- البرجسية والتعالي على الآخرين .
- الاعتقاد بالصوابّية المطلقة والرشاد.

أما التطرف الديني اصطلاحاً؛ فهو تجاوز الحدِ، والغلوّ في السلوك، أو الفكر، أو الاثنين معاً، في مسألة التعاطي مع التدين وأشكاله.

وتواجه الباحثين، خاصة غير المتخصصين، عند بحث مفهوم التطرف الديني، معضلة التباس المفاهيم. وللتبسيط، دون الخوض في التفاصيل، نرى أنّ هناك خلطاً في مفاهيم مثل «الإسلام السياسي»، «التطرف الإسلامي»، و«الأصولية الإسلامية»، و«الإسلاموية»، و«الإسلام الراديكالي»، لكنني هنا، سأستخدم مفهوم التطرف الإسلاموي؛ لأنه الأكثر تعبيراً عن غايات هذا البحث.

وفي هذا المجال؛ يرى المستشرق الفرنسي، المثير للجدل، مكسيم رودنسون، في بحثه لهذا الأمر، دون أن ننسى أنه كان أول من صاغ مصطلح الفاشية الإسلامية، الذي استخدمه لوصف ثورة الامام الخميني 1979م، أنّ مصطلح «الأصولية الإسلامية» مصطلح جيد، لكنّ مصطلح «التطرف الإسلامي» أسوأ منه، في حين يولِد مصطلح «الإسلاموية» الالتباس مع مفهوم «الإسلام» بالمقدار نفسه، ومع أنّ مصطلح «الإسلام الراديكالي» ليس سيئاً للغاية، لكنه ليس هناك أيّ مصطلح يمكن أن يقابل حقاً، وبشكلٍ كاملٍ، الموضوع قيد المناقشة، ويجادل بالقول، إنه بإمكاننا أن نستوعب تحت مصطلح «الأصولية الإسلامية»، كلّ تلك الحركات التي تعتقد بأن تطبيقاً كاملاً متكاملاً، لا يتجزأ، للعقائد والممارسات الإسلامية، بما في ذلك مجالات السياسة والمجتمع، من شأنه أن يقود المجتمع المسلم، أو حتى العالم كلّه، في طريق العودة، مرة أخرى، إلى دولة متناغمة مثالية، التي تكون تكراراً ونسخةً من المجتمع المسلم المثالي، الأول في المدينة المنورة، في السنوات بين (622 -632م)، مضيفاً، في هذا الصدد، أنّ الأصولية الإسلامية تعرض بعض التشابه مع (إيديولوجية) سياسية علمانية، مثل الشيوعية؛ فالشيوعيون، أيضاً، يعتقدون أنّ التطبيق الكامل للوصفات التي وضعها مؤسسهم، ينبغي أن تجلب مجتمعاً متناغماً، يخلو من الاستغلال أو القمع، وعلى النقيض من ذلك، لا توجد أيّة إيديولوجية مماثلة في المسيحية، ويعتقد الأصوليون المسيحيون أنّ تطبيق تعاليم المسيح، بشكلٍ كاملٍ، من شأنه أن يجعل الجميع خيرين ولطفاء، لكنهم لا يعتقدون بأنها سوف تغير بنية المجتمع بالضرورة»[14].

ويقول (أريك هوفر)، في كتابه «المؤمن الصادق»، في محاولة قديمة بعض الشيء، قبل موجة التطرف والإرهاب الحديثة لشرح دوافع التطرف، «وحده الفرد الذي يتعايش مع نفسه هو القادر على أن ينظر إلى العالم من حوله بلا انفعال، فيما تصف الحركات

[14]- أشقر، جلبير، (2013)، ص 2.

(والجماعات) المتطرفة أيّ وجودٍ مستقلٍ متميز، بأنه وجود عقيم، لا معنى له؛ بل تذهب إلى اعتباره وجوداً منحلاً شريراً، وقدر المتطرّف أن يشعر بالنقص وفقدان الثقة، ولا يستطيع أن يستمدّ الثقة من قدراته الذاتية، أو من نفسه التي تنكر لها، لكنه يجدها في الالتصاق المتشنج بالكيان الذي احتضنه؛ إذ يجد المتطرّف، في هذا الالتحام، ما يحفزه على الولاء الأعمى، الذي يشبه التدين (أو هو التدين)، كما أنه يجد فيه نبع الخير والفضيلة والقوة، ورغم أنّ المتطرّف يهدف من هذا الولاء الأعمى، في الدرجة الأولى، أن يحافظ على بقائه، إلا أنه قادر على أن يعدّ نفسه جندياً يحمي القضية المقدسة التي اعتنقها، وهو على استعداد للتضحية بحياته كي يثبت لنفسه وللآخرين، أنّ هذا هو دوره بالفعل: أن يضحي بحياته، ليثبت أهميته!

وأعتقد أنّ ما ذكره (هوفر) صحيحٌ، وينطبق على كافة أشكال وأنواع ومصادر التطرف المؤدي إلى الإرهاب، في الحقبة الحالية من سيرورة العولمة.

إنّ مسألة التطرف الديني في الإسلام، أو»الأصولية الإسلامية»، كما يحلو لبعض الخبراء و(الأكاديميين)، مثل رودنسون، أن يسمّيها، هي من المسائل التي تعرضت لبحثٍ قديمٍ وطويلٍ، لكنها ازدهرت في العصر الحديث؛ بداية مع الصدمة الأولى التي تمثلت بالإسلام الشيعي، مع الثورة الإيرانية عام 1979م، ثم بعد أربعة عقود تقريباً، حدثت الصدمة الثانية الأعنف، متمثلة بالإسلام السنّي، مع بروز شبح تنظيم القاعدة، وهجمات 11 سبتمبر 2001م الإرهابية ضدّ أمريكا.

وكان المستشرقون والباحثون في الغرب، قد حاولوا، بشتّى الأساليب، إمّا إلصاقها مباشرة بالإسلام، أو الحديث، بشكلٍ ضمنيٍّ، عن أنّ الإسلام بمظاهره، الدين والحضارة، يساهم في ذلك، منطلقين من مقاربات تاريخية ونقدية، ترى أن تفكير العرب الذي يتجلى باللغة العربية، هو تفكير قياسي، لا تحليلي، بصورةٍ أساسيةٍ، ويظهر ذلك في الطريقة الإفتائية للشريعة الإسلامية، وفي النظرية الذريّة في علم الكلام، والأعمال الأدبية، حتى وصل الأمر إلى الفنون الزخرفية، وفي وجود صراعٍ بين قيم المجتمع العربي البدوي وقيم الإسلام، وهذا ظهر في آيات القران الكريم، رغم أنّ المستعرب الألماني، فرنسيس شتيبات،، نفى هذه النقطة الأخيرة[15]، و»هناك سمة خاصة انتشرت في عالم المعرفة الإسلامية، كانت تتعلق بنشوء الشريعة والفقه والأدب، وهذه السمة هي التمييز الصارم بين الخاصة والعامة، بحيث يأخذ برأي الخاصة في أية مسألة، أمّا رأي العامة، أو ما يمكن أن ندعوه الآن «الرأي العام»، فكان يُهمل تماماً.

ولقد أعطى هذا الأمر صبغةً متعاليةً على معظم تلك المعارف أعلاه؛ من شريعة، أو أدب، انعكس سلباً على مجمل الحياة الإسلامية والحضارة الإسلامية، وأدّى إلى المبالغة في تبجيل العلماء، فيما بعد، الذين يعدّون الحجة في جميع فروع العلم والمعرفة، ومن ثمَّ وجود كمية محدودة من الأشياء التي يمكن معرفتها، الأمر الذي أدّى، في النهاية، إلى تكلّسٍ يكاد أن يكون عاماً في المنظومة المعرفية الإسلامية»[16].

15 شتيبات فيرتس، الإسلام شريكاً: دراسات عن الإسلام والمسلمين، ترجمة: عبد الغفار مكاوي، سلسلة عالم المعرفة، العدد 302، أبريل/ 2004.

16- شاخت جوزيف، بوزورث كليفورد، تراث الإسلام، الجزء الأول، ترجمة: السمهوري محمد وزملاؤه، تعليق وتحقيق: مصطفى شاكر، مراجعة: زكريا فؤاد، سلسلة عالم المعرفة، الطبعة الثالثة، 1987، الكويت، ص ص 21- 25.

وفي هذا السياق، أشار عبد الحميد الشرفي، إلى أنّ «في كلّ البلاد الإسلامية، خاصّة في المجتمعات التقليدية، يوجد إسلام العلماء، وإسلام العامّة، خاصةٍ في الريف والبوادي»([17]).

وأعتقد أنّ هذه الظاهرة موجودة، بشكلٍ أوسع وأعمق، في المجتمعات الحضرية والمدن العربية، وبين المسلمين في أوروبا وأمريكا، في الحقبة الحالية من سيرورة العولمة، التي أرى أنّها عزّزت مكانة رجل الدين، والمفتي الذي ينشر ويطرح الفتاوى في مختلف القضايا والشؤون، الخاصة والعامة، عبر آليات العولمة التكنولوجية، خاصة الإنترنت، ووسائل التواصل الاجتماعي المتعددة.

ورأى الفيلسوف وعالم الاجتماع، البريطاني من أصل تشيكي، أرنست غلنر، في كتابه «ما بعد الحداثة والعقل والدين»، 2001، أنّ الإسلام كدين إيمانٍ وحياةٍ، يماثل ما ساد خلال حقبة ما قبل الثورة الصناعية في (أوروبا)، من حيث إنّه دينٌ مؤسِسٌ عقديٌّ أصوليٌّ، بشكلٍ كلي ومؤثرٍ، وإنّ صدمة الغرب تحرض فيه ردة الفعل، بنشاطٍ، وقوةٍ، وكثافةٍ، ضدّ الآخر المختلف. وعندما تحدّث غلنر، الذي يُعدّ من منظّري المدرسة العقلانية النقدية، عن سؤال خيارات الإيمان، وجد أنّ «الأصولية الدينية» قوية في المجتمعات الإسلامية تحديداً، وعلّل ذلك بالعلاقة بين الثقافة العليا والثقافة الدنيا، والفصل الداخلي بينهما، وبأنّ الثقافة العليا تفرضها الأقلية، بمعنى إسلام الخاصة، العلماء والفقهاء ورجال الدين، أو الإسلام الرفيع، وهذا ما يعزز فرضية إسلام العامة، أو الإسلام الشعبي (استخدم كلمة «فلكلور/ Folk Islam»)، ودين الخاصة الذي يمثلة رجال الدين، والفقهاء، والعلماء، بالمعنى الوارد في التراث الإسلامي([18]).

وأعتقد بأنّ هذا الأمر ليس اكتشافاً جديداً لأرنست غلنر، أو عبد المجيد الشرفي، أو غيره، لماذا؟ لأنّ ابن رشد سبقهم إليه بقرون عديدة؛ فعلى سبيل المثال: يشير ابن رشد، في تصريحٍ غريبٍ، لا يليق بمفكرٍ وفقيه مثله، باحترام التفكير والعقل البشري، بحسب اعتقادي، حول مسألة التجسيم لصفات الله في الإسلام، وهي مسألة اتفق معظم فلسفة الإسلام في نفيها، ومعهم فرق المعتزلة والأشاعرة، حين نفى ابن رشد الجسمية عن الله، لكنّه أوصى، وهذا الغريب، بعدم التصريح بها للجمهور وعامة المسلمين، والاحتفاظ بهذا النفي للخاصة وحدهم، بحجة أنّ العامة يصعب عليهم تصوّر شيء غير موجود، إلا إذا كان جسماً، وإذا انتفت الجسمية صار من الصعب عليهم تخيل الله؟!([19]).

17- الشرفي، عبد المجيد، ملامح الثقافة الإسلامية السائدة، نص المداخلة التي ألقاها الدكتور عبد المجيد الشرفي في المؤتمر الافتتاحي لمؤسسة «مؤمنون بلا حدود» للدراسات والأبحاث، في ٢٥/ ٢٦/ ٢٠١٣، المحمدية – المغرب، مؤمنون بلا حدود للدراسات والأبحاث، على الرابط: http://www.mominoun.com/articles/%D9%85%D9%84%D8%A7%D9%85%D8%AD-%D8%A7%D9%84%D8%AB%D9%82%D8%A7%D9%81%D8%A9-%D8%A7%D9%84%D8%A5%D8%B3%D9%84%D8%A7%D9%85%D9%8A%D8%A9-%D8%A7%D9%84%D8%B3%D8%A7%D8%A6%D8%AF%D8%A9-529

18- Gellner, Ernest (1992) postmodernism, reason and religion, first published, Routledge, USA, NY, p 1-12.

19- منصور، أشرف حسن، أثر الفارابي وابن رشد في صياغة موسى بن ميمون للأصول الثلاثة عشر للديانة اليهودية، مجلة «ألباب» الفصلية، العدد السادس، 2015، مؤسسة «مؤمنون بلا حدود» للدراسات والأبحاث، ص ص 88- 89.

وأعتقد أنّ هذا الفصل السري بين العام والخاص، الذي يذكّر بالجماعات السرية المغلقة، ثم محاولة إنكار ذلك عبر محاولات إبعاد الممارسات الكهنوتية عن الإسلام، يعارض سيرورة العولمة، والحداثة، أو سيولة الحداثة بالمعنى الذي قصده زيجمونت بومان، لكنّ الأخطر؛ أنّه يثير الخوف والرعب في الآخر، ومن الأسباب الرئيسة للتطرف الإسلامي الحديث، هذا التطرف المبني على فهم خاص للدين وأشكال التدين، خاصة إذا جاء من أشخاص يريدون كسر احتكار صوابية الخاصة، أو رأي العلماء، هو الذي فتح بوابة الأصولية والتطرف اللاإسلاموي الحديث، حينما تحوّل إلى ايديولوجية تسعى إلى تحقيق برنامجٍ سياسيٍّ، وتشكيل دولةٍ، أو خلافةٍ مثل خلافة أبو بكر البغدادي في داعش.

ومن المعلوم أنّ معظم التيارات والمدارس الإسلامية تصرّ على أنّ الإسلام الصحيح ليس إيديولوجيا؛ بل ديانة سماوية أكثر سموا من الأيديولوجية الوضعيّة، التي يُنظر إليها باحتقارٍ شديدٍ. مع أنّ الواقع المجرد يقول إنّ مجرد ذكر كلمة «إسلام» وحدها، الآن في حقبة العولمة الحالية، أصبح يُحيل الذهن والمتخيل، مباشرةً، إلى صورة الإرهابي وتنظيم داعش.

لذلك؛ يمكن أن نلاحظ أنّ المنظِر السياسي الأمريكي، فرنسيس فوكوياما، يدعي أنّ الأصولية الإسلامية تقف ضدّ الحداثة، وغير متسامحة، وفاشية، (ذكر أنّ مكسيم رودنسون صاغ هذا المصطلح، فاشية الإسلام، ليصف ثورة الخميني عام 1979م)، ونرى أنّ (ريتشارد بيرل، وديفيد فروم) في كتابهما: «نهاية الشرّ»، «كيف نربح الحرب على الإرهاب»، 2003م، يدعيان أنّ التطرف الإسلامي ليس ديانة؛ بل (إيديولوجية) تجب مواجهتها من خلال حرب مختلفة، للتعامل مع القيم والمبادئ التي تنادي بها هذه (الإيديولوجية)[20].

- في جذور التطرف الديني الإسلاموي المعاصر

يرى المؤرخ الفرنسي (الكسيس توكفيل)؛ أنّه بدون عقد مقارنات لا نستطيع أن نعرف الحقيقة[21]، وأرى أنّ مسألة البحث في أسباب التطرف الديني، في حاجة إلى مثل هذه المقارنات، لمعرفة مواطن الخلل وأسبابه، ويلاحظ حاليا أنّ ما من حديث عن هذه المسألة، إلا وتتم فيه المقارنة بين الأديان والمنظومات المعرفية للبشر، في الحقبة الحالية من سيرورة العولمة؛ لذلك يجري النظر إلى التطرف الإسلاموي وخطره الداهم، والغرب ومفاهيمه حول (الليبرالية)، والحرية، والديمقراطية، وحقوق الإنسان.

وفي هذا السياق؛ يرى بعض الباحثين الغربيين والمستشرقين، أنّ بداية التطرف الديني الإسلاموي، بدأت منذ القرن الثاني الهجري، مع بداية ظهور الفلسفة (الهلينستية) في علم الكلام الإسلامي؛ حيث بدأت تظهر فرق أو حركات، مثل المعتزلة، ثم حركة السلفيين (المتطرفين)، وقد وصل تطور الفكر الإسلامي، بحسب هؤلاء الباحثين، ذروته تقريبا عام 800 م، وفي القرن العاشر؛ شعر العلماء من مختلف المدارس، أنّهم وصلوا إلى نقطة، بُحثت فيها كلّ المسائل، ولم يبقِ شيء، وهذا ما يسمى إقفال باب الاجتهاد، ومن هنا

20 مجلة التسامح، 2005، ص ص 84- 99.

21 الموند وباويل، 1998، ص 15.

بدأت مرحلة التكلس العقائدي، واستمرت حتى الآن، ويرى هؤلاء الباحثين أنّ خوف الإسلام السنّي، وتقوقعه على نفسه، كان له ما يبرره في ظلّ خطر التطرف الديني، الذي كان يتهدده من جانب الحركة الشيعية المتطرفة للإسماعيلية البرارية، ودعوتهم السرية التي كان يرعمها زعيم جماعة الحشاشين، الحسن الصبّاح، في قلعة آلموت، التي مارست أسلوب الإرهاب والاغتيالات، لأهدافٍ سياسيةٍ، واشتقّ من اسمها، حسب رأي كثير من الباحثين، اللفظ (الإنجليزي) لكلمة اغتيال[22].

إنّ التاريخ النقدي للإسلام السياسي، يقدّم دليلاً (مسكوت عنه كثيراً)، يتمحور في أنّ الخلاف السياسي البحت، حول الصراع على السلطة؛ هو أساس نشوء الفرق، والطوائف، والملل والنحل في الإسلام، التي لجأت إلى تغليف الصراع السياسي الاجتماعي، بطابعٍ ديني، فتحول الدين والعبادة إلى (إيديولوجيا)[23]، وهذا هو جوهر الصراع (على/ في) إيديولوجيا الإسلام السياسي المعاصر.

لذلك، فلم يكن من المستغرب أن يقول منظّر مهم في الإسلام السياسي، مثل المرحوم حسن البرابي، في كتابه «تجديد الفكر الإسلامي»/ 1982 م، إنّ العصور المتخلفة أورثتنا فقهاً ليس من واقعنا الآن؛ إذ هو من الواقع الذي جاء به أبو حنيفة، أو مالك، أو الشافعي، وبهذا أمسى الفكر الإسلامي اليوم فكراً تجريدياً، خرج عن التاريخ، وظلّ في مكان علوي لا يمس الواقع، فنحن في وادٍ، والفقه الإسلامي في وادٍ آخر[24].

وفي هذا السياق كان المرحوم فرج فودة يرى أن تطبيق الشريعة الإسلامية ليس هدفاً في حد ذاته بل وسيلة لغاية، والدعاة يدعون إلى تطبيق الشريعة ويرفعون شعار أن الإسلام دين ودولة ومن ثم الربط بين مفهوم الإسلام الدين ومفهوم الإسلام الدولة، ليس على أنهما مختلفان بل وجهان لعملة واحدة وهي صحيح الإسلام، وهنا انتقل النقاش إلى ساحته الحقيقية وهي السياسة[25].

وهنا فتحت شهية الإسلام السياسي الحديث الذي لقي من يشجعه في الغرب كمشروع كما المشاريع الاقتصادية ، وفتح الباب واسعاً للتطرف الديني الذي تتطور في الكثير من الاحيان الى الارهاب .

ورغم الاجماع الكبير من قبل الباحثين المهتمين بالظاهرة على الرابط العميق بين المقدس والتطرف الديني فانا أعتقد بأنه ليس هناك سبب واحد ومحدد للتطرف الديني، وليس هناك وصفة طبية لمعالجته أيضاً، وهو شكل معقد جدا من مجموع منظومات العقل البشري المعقدة، وأزعم أنّه، رغم الرطانة الواسعة والتحليلات السطحية له، إلا أنّه، كظاهرة سياسية تؤثر في العلاقات الدولية والعالمية متخطية للحدود الوطنية، لم يبحث بجدٍ وعمقٍ بعد، وبقي يبحث ويحلل، بشكلٍ مدرسيٍّ سطحيٍّ، في الدراسات السياسية والعلاقاتة الدولية ونظريات العولمة، أو بقي حكراً على الدراسات الأنثروبولوجية، والاجتماعية الدينية، والتراث.

وأعتقد أنّ التطرف مسألةٌ معقدةٌ وإشكاليةٌ، تتداخل فيها عوالم واسعة من الأسباب، وليس صحيحاً أن البشر يتطرّفون ويقتلون

---

22 شاخت وبوزورث، 1987، ص ص 20- 27.

23 التسامح، 2005، ص 39.

24- الحسين، عبد الله بن محمد، 1995، ص 80.

25- فوده، فرج، 2005، ص 1.

لأنهم جياع أو مهمشون فقط، أو لأنهم أغبياء أميّون، لا يملكون الإرادة الحرة، ولا يملكون خياراً في الحياة، أو مختلّون عقلياً ويعانون من مشاكل سيكولوجية؛ بل، على العكس من ذلك، لأنّ التطرف الإسلامي، على الأقل، مسألة خيار، وإرادة حرة، وقناعة دينية عميقة، واسعة ومتينة، لكن ليست صحيحة بالضرورة، تستند إلى (إيديولوجية) أصولية إسلامية، أصبحت تعبر عن نفسها ضمن برنامجٍ واضحٍ، محددٍ بأطر عمليةٍ ونظريةٍ في مختلف المجالات، ويجري الاحتفال بها على نطاق عالمي، بفضل آليات العولمة المختلفة، خاصة (التكنولوجيّة) بالصوت والصورة.

ولعلّ من أهم أسباب التطرف المفضي إلى الإرهاب، هو اضطراب الخطاب التاريخي الإسلامي الفقهي، خاصة في باب الجهاد، وتلك المقارنة الخطيرة جداً المتعلقة بموضوع الجهاد، والسؤال الذي لا يزال يردد ويتجدد باستمرار: هل الجهاد فرض كفاية أم فرض عين؟ وهنا نجد الاختلاف والتمايز، لأنّ هذا التمايز يأخذ مسارين متعارضين، فأحد هذين المسارين، بفهمه تداعيات المفهوم، يؤدي إلى التطرف، ثم إلى الإرهاب، فمثلاً: يقول محي الدين بن النحاس، وهو من علماء القرن الثامن الهجري، استشهد في معركة الطينة في دمياط مصر، خلال المعارك مع الصليبيين عام (814هـ)، في كتابه «مشارع الأشواق إلى مصارع العشاق في فضائل الجهاد»: إنّ «جهاد الكفار في بلادهم فرض كفاية باتفاق العلماء»، لكنه يضيف بأنه ابن المسيب وابن شيرين عدوه فرض عين.

وهنا نرى أننا، إذا قرأنا هذا النص اليوم، فسنخرج بانطباع أول، مفاده وجود خلاف في الأمر، بالتالي، فإنّ هذا العالم المجاهد لم يحسم الأمر؛ بل ترك الباب مفتوحاً للفهم والتأويل الشخصي، والأهواء الشخصية، فإذا أعجبتني فكرة فرض الجهاد (عيناً)، فإنني كمعظم مجاهدي عصر العولمة الحالي، سأقفز إلى أفغانستان، ثم أهرب منها إلى الفلبين، ثم الشيشان، ثم إلى جنوب السودان، أو الصومال، ومنها إلى (أمريكا، إسبانيا، بريطانيا، فرنسا)، وهكذا، حتى يتعولم الجهاد، ويتعولم معه التطرف والإرهاب. ثمّ يقول ابن النحاس، في مكان آخر: «وأقلّ الجهاد، في كلّ سنة مرة، والزيادة أفضل، بلا خلاف، ولا يجوز أن تخلو سنة من غزو وجهاد، إلا لظروف خاصة»، وقد حدد هذه الظروف بالأسباب الآتية:

1. ضعف المسلمين.
2. كثرة العدو.
3. الخوف من استئصال المسلمين إذا هم بدؤوا الكفار القتال.
4. قلة الزاد - نقص المؤن- وقلة علف الدواب (ضعف الدعم اللوجستي).

مضيفاً أنّه، إذا لم يوجد مثل هذه الضرورات والأعذار، فلا يجوز تأخير الغزو سنة، وأنّ هذا ما نصّ عليه الشافعي وأصحابه[26].

يلاحظ مما سبق؛ أنّ بنية التفكير الإسلامي حصل فيها تحول، مرّ ظاهرتين: الأولى عندما كان متلقيا واعياً، كان الإسلام دعوة،

26 الخالدي، صلاح، 1999، ص 35.

فكان لا يحمل إلا شروط الدعو.، والثانية عندما تحوّل إلى سلطة (إما دينية أو سياسية)، فتلبّس الإرهاب والقمع في صورة الإسلام، فأخذ هذا التفكير يتعامل مع المخالفين في الرأي ضمن الإسلام، بلغة العنف الجسدي، متناسيا قول النبي، صلى الله عليه وسلم، اختلاف أمتي رحمة.

ومن أهم النماذج على ممارسة التطرف الديني في التاريخ الإسلامي، التي كان يقف وراءها التطرف الديني، يمكن الإشارة إلى:

1. الممارسات التي كان يقف وراءها فكر متطرف، له مطامع سياسية أو مالية، أهمها: حروب الردة، واغتيال الخلفاء (عمر بن الخطاب، وعلي بن أبي طالب، وعثمان بن عفان)، ومعارك الجمل، وصفين، وغيرها الكثير.

2. الممارسات التي كان يقف وراءها فكر ديني، متشدد أو متطرف؛ إذ يرى بعض الباحثين أنها ترجع، في الإسلام، إلى فرقة الخوارج؛ التي انبعثت عنها كثير من الحركات، وكان سبب ظهورها رفضها مبدأ التحكيم الذي قبل به علي بن أبي طالب، ولقد كانت لهم أفكار ومعتقدات غاية في التطرف، فتمادوا في تطبيقها، وارتكبوا باسم مبادئهم كل أنواع الإرهاب العالمية الحديثة، من استباحة الأموال، والقتل، والاغتيال، والإرهاب للنساء والأطفال والشيوخ.

هذا، ولا بد من الإشارة إلى وجود الكثير من الدراسات والبحوث، اليوم، التي تنتقد مسألة ربط الخوارج بالارهاب العالمي، وإرهاب تنظيم داعش، خاصة أن هناك دول عربية، مثل عمان، وبعض الجماعات في المغرب العربي، التي تنتمي إلى مذهب الإباضية، قد يسيئ لمعتقدها مثل هذا الربط المعاصر، مع ملاحظة أن مصطلح «الخوارج» دخل قاموس اللغة الإنجليزية، ولغة البحث والتواصل على شبكة الإنترنت، وأصبح الآن يُحيل مباشرة إلى تنظيم داعش، ثم إلى الإرهاب، ثم إلى الإسلام في النهاية.

خلفيات التطرف الديني المعاصر وتطوره:

إذا نظرنا إلى جذور التطرف الديني في حركاته السلفية، وخلفية تطوره المعاصر، ابتداءً بالحرب العالمية الثانية (خاصة بعد 1952م)، فإننا نرى أن نوعاً من الاجتهاد المتنوع الاتجاهات قد أخذ بالظهور على النحو الآتي:

أ. الدعوة للمواءمة بين الفكر الديني والفكر الاشتراكي.

ب. الدعوة للمواءمة بين الدين وأشكال التدين والحداثة، وقد ساد الاتجاهان أعلاه في مصر، خلال عهد جمال عبد الناصر، كتعبير عن التحديث والفكر الاشتراكي الذي دعا إليه.

ت. الدعوة السلفية، بالعودة إلى الأصول الدينية، وكان على رأس هذه الحركة؛ جماعة الإخوان المسلمون، وقادتها (حسن البنا، وسيد قطب، وعبد القادر عودة) الذين اعتمدوا بدورهم على أفكار محمد عبده، ويزعم دعاة السلفية

بأنّ أسباب تخلّف المسلمين، يعود إلى ابتعادهم عن الإسلام الصحيح، هذا الإسلام الصحيح؛ هو أساس الالتباس، بحسب اعتقادي، فما هو هذا الإسلام الصحيح؟!

ث. الاتجاهات الدينية المتطرفة، منها: حزب التحرير الذي نشأ في الأردن، ثم امتدّ إلى عدد من الدول العربية الأخرى، ومنها مصر، ثم منظمات الجهاد، التكفير والهجرة، ثم الجماعات التكفيرية الجهادية؛ وعلى رأسها تنظيم القاعدة وتفرعاته الحديثة، وأحدثها: داعش، والنصرة، وبوكوحرام.

لقد قمع عبد الناصر جماعة الإخوان المسلمين، فأعدم سيد قطب، لكن بمجيء السادات تغير الحال قليلاً؛ إذ قام باستخدام جماعة الإخوان كتكتيك، للاستقواء بهم لضرب الاتجاهات السياسية المعارضة له، لكنّ سياسة السادات انقلبت عليه، خاصة بعد فشل سياسات الانفتاح الاقتصادي والسلام مع إسرائيل، الأمر الذي أدّى إلى بروز الاتجاهات الدينية الإسلامية المتطرفة، التي تحولت إلى الفعل الإرهابي، فحكمت بتكفير المجتمع أولاً، ثم الحكام ورجال الدين العلماء، ثم انتهى الأمر باغتيال السادات نفسه.

إنّ السلفية، وإن ظهرت في مصر، في ظلّ تنظيم الإخوان المسلمين، في عشرينيات وثلاثينيات هذا القرن، إلا أنّه، بسبب قمعهم وملاحقتهم، بعد عام 1952م، ظهرت نتيجتان خطيرتان، كانت الأولى منهما عميقة الأثر، منذ ذلك التاريخ حتى الآن، هما:

- النتيجة الأولى: إنّ قاعدة هذا الاتجاه خرجت وهربت من مصر إلى دول الخليج والسعودية.
- النتيجة الثانية: إنّ غلاة السلفية، والمتطرفين منهم، أصبحوا نواة التنظيمات الإرهابية التي تأثّرت بنجاح الثورة الإيرانية، عام 1979م، بوصول الإمام الخميني للسلطة، ثم عاثت تلك التنظيمات فساداً في الأرض[27]، فلقد أصبحت تلك التنظيمات الإرهابية تمارس القتل اليومي باسم الدين والعقيدة، والدعوة إلى الجهاد، وإقامة الخلافة على نهج النبوة، كما يدّعي تنظيم داعش في الحقبة الحالية من سيرورة العولمة.

ويرى الأكاديمي المتخصص بالإسلام السياسي، البرفسور البريطاني (سايمون ميردين)[28]؛ أنّه مع انتهاء الحرب الباردة، طفا إلى السطح مجدداً الاختلاف الثقافي بين الغرب والإسلام؛ كأحد نقاط التماس الحساسة المحفوفة بالريبة الثقافية، وخاصة أنّ تاريخ الآخر، أو تاريخ الغريب قديم قِدم الحضارة نفسها، ولقد كان تشخيص (الأوروبيين) للآخر والغريب على الدوام، تشخيصاً، نمطياً، مقولباً، مهنياً، ومما زاد الأمر التباساً؛ أنّ العولمة الثقافية قد ساعدت على إبراز الثقافة الأخرى المعارضة لليبرالية الغربية، على أنها إيدلوجيا للعولمة في وجه القيم الإسلامية، التي امتدت عبر سيرورة سريعة، بفعل محرّكات العولمة التكنولوجية التي عبر عنها (هنتنغتون) في دراسته «صدام الحضارات»، وأنّ الخلافات بين الحضارات أعمق من التنافس بينها، وأنّ العولمة تزيد من احتمال الصدام الحضاري؛ إذ أخذ العالم في التحوّل إلى رقعة أصغر، بفعل ضغطه زمانياً ومكانياً، الأمر الذي يدفع درجة الوعي بالخلافات

27- جلال محمد نعمان، 2006، ص 11.
17- بيليس سميث، 2004، ص ص 782- 813.

28

والتهديدات الثقافية، أكثر فأكثر، وبناء عليه؛ فإنّ الأمن الدولي سوف يرتبط بصورة مباشرة بالهوية الثقافية، بدل ارتباطه بسيادة الدولة والأمة.

ويجادل (ميردين) بأنّ الصدام الثقافي سيعبّر عن نفسه على مستويين:

أ. صراع على الموارد عبر سلسلة من خطوط الصراع والصدع الإقليمية، ويمكن لنا أن نتلمس ذلك من خلال استمرار سعي (أمريكا) إلى الهيمنة والتفرّد بالعالم، وتركيزها- منذ هجمات11 سبتمبر- الإرهابية، على منطقة الشرق الأوسط الغنية بالموارد، خاصّة النفط، رغم كلّ اللغط عن انكماش الإمبراطورية الأمريكية.

وأنا أعتقد، بأنّ هذه الفرضية يعتورها الكثير من العوائق والأسئلة، خاصّة بعد وصول دونالد ترامب المحافظ إلى الرئاسة في أمريكا. لكنّ خطر الإرهاب الإسلاموي في زيادة، ولا يزال يهدّد أمريكا وأوروبا، خاصّة أنّه تحوّل ليكون أداةً من أدوات تنفيذ السياسات والطموحات السياسية، خاصّة بعد نجاح تنظيم داعش ببناء ما يشبه الدولة في العراق وسوريا، قبل تدميرها من خلال تحالف سياسي دولي عريض، على رأسه أمريكا وروسيا (الحلفاء الأعداء).

ويرى (فوكوياما، 2006م)، أنّ تحدي الإرهاب العالمي، هو صراع سياسي، في حدّ ذاته؛ لذلك لا يمكن حلّه بالوسائل العسكرية كما تفعل (أمريكا)، «وإنّ استخدام الهيمنة لصياغة العالم بصورةٍ كاملةٍ؛ هي وهم»[29]، ورغم توصيف (فوكوياما)، إلا أنّ أمريكا بدأت تدرك أهمية تغيّر مقارباتها في كيفية مواجهة اتجاهات الإرهاب الحديثة، ولا بدّ من الإشارة إلى أنّ (جميس ريزن)، وهو محلّل (أمريكي) متخصّص في الأمن القومي، وخبير في الإرهاب والشؤون الاستخبارية، كان قد انتقد إدارة (بوش) الابن المحافظة، بوجود (رامسفيلد وتشيني)، بحجة أنّها خرقت نظرية الديمقراطية المشهورة والمعروفة في التدقيق والموازنة؛ إذ سيطرت زمرة المحافظين الجدد على السياسة الداخلية والخارجية، ثم أبعدت كافة الأشخاص المؤهلين والخبراء في الإرهاب العالمي، ومنطقة الشرق الأوسط[30]، وهو وضع شبيه لما هو موجود الآن في إدارة الرئيس ترامب.

كما يمكن النظر إلى زيادة الحساسية بين: أمريكا، والصين، وكوريا، وإيران، و(روسيا) الآن، على أنّها مؤشرات على حدّة هذا الصراع على الموارد، وعلى سبيل المثال؛ لقد أكّد الرئيس الروسي (فلاديمير بوتين)، منذ عقد من الزمن، في خطابه السنوي حول وضع الأمة، في أيار 2006م، عدم انتهاء سباق التسلح مع الغرب، وانتقد الموازنة العسكرية (الأمريكية)، التي أشار إلى أنّها تفوق موازنة (روسيا) العسكرية بخمس وعشرين مرة، وعليه، سيزيد موازنة روسيا بنسبة (20%) مقارنة مع موازنة 2006م[31].

29- العرب اليوم، 2006، ص 9.

30- ريزن جيمس، 2006، ص1.

31- العرب اليوم، 2006، ص1.

ب. منافسة أشمل على القدرات والنفوذ ضمن النظام الدولي، خاصة على المعايير والمنظمات الدولية، مع التركيز والتأكيد على استقلالية التهديد الإسلامي للغرب، كما تبناه (صمائيل هنتنغتون) و(برنارد لويس).

ونلاحظ، مع أوائل التسعينيات من هذا القرن، أن الحجج والبراهين كثيرة، التي تقدم الإسلام للغرب على أنه يمثل «هلال أزمات»، من خلال صدامه مع الحضارات المجاورة؛ في البلقان، وإفريقيا، وآسيا الوسطى، والهند، وجنوب شرق آسيا، والفليبين، ومما ساعد في ترسيخ هذه الحجج؛ وصول الإمام الخميني إلى السلطة، بعد ثورة عام 1979م، وبات الشعور بأن الإسلام يمثل، بالفعل، تهديداً يتجاوز الحدود القومية، وأنه خصمٌ حضاري، مع الإشارة إلى أن موضوع الصدام بين الطرفين كان موجوداً في الذاكرة الشعبية، وأن جزءاً كبيراً من هذا الصراع انغرس في الوعي الغربي بفعل الدور السلبي للمستشرقين، أمثال برنارد لويس، بحسب دراسة إدوارد سعيد المشهورة عن»الاستشراق»، ثمَّ جاءت محركات العولمة التكنولوجية والإعلامية، ورسخت هذه القوالب النمطية، عن الإسلام والشرق بشكل عام[32].

غير أنه لا يمكن التسليم كلياً بهذه الفرضية، على الأقل، اعتماداً على التصريحات الرسمية؛ فقبل عقد من الزمن، وعلى خلفية هجمات 11 سبتمبر الإرهابية ضد أمريكا، قال الرئيس الأمريكي (بوش الابن): إن «الإسلام الحقيقي دينٌ سلميٌّ، وأنه يشعر بالارتياح لأن الإسلام الحقيقي ديانةٌ سلميةٌ، والمسلمون يحترمون قيم الآخرين، وهناك قيم مشتركة بين الديانات السماوية الثلاث، ويجب أن لا نسمح للمتطرفين والإسلاميين بأن يلطخوا صورة الإسلام الحقيقي؛ لذلك هناك حاجة إلى تفاهم بين العالم الإسلامي والغربي»[33].

من جانبهما، ادعى (تاكيه، وغفوسديف،2005م) أن هزيمة (السوفييت) في أفغانستان، فعلت حركة عالمية من الثوريين الإسلاميين، الذين تفرّقوا بهدف قتال مستمرٍّ حول العالم، وتنبّأ (كريستوفر روس)، بأن قدر المنطقة أن تشهد موجةٍ من الثورات الإسلامية، ناجحة أو فاشلة، خلال العقد القادم، وأن الإسلام المتطرف كان معداً لتولي السلطة في أجزاء مهمة من الشرق الأوسط، وعلى امتداد مساحة واسعة في (أوراسيا)، لكنّ متخصصين معروفين في الإسلام السياسي، لهم ارتباطات استخبارية، مثل: أوليفيه روي، وجيل كيبيل، كانوا يعتقدون بأن الإسلاميين المتطرفين يمكنهم جعل مجتمع ما، بصورة أكيدة، يخضع لحالةٍ من عدم الاستقرار والفوضى، مستخدمين الإرهاب والعنف وسيلةٍ، لكن لا يمكّنهم، على المدى الطويل، من الفوز بفرض سلطة الدولة بنجاح، بهدف بناء مؤسسات قابلة للحياة، وترتكز على رؤية إصلاحية غير عملية للإسلام، أما عن سؤال: لماذا حدثت هجمات 11 سبتمبر؟ فإن تاكيه، الذي يرى أن الإسلام المتطرف هو خطرٌ داهمٌ، فيقول: إن ذلك حصل لأن الإرهابيين كانوا ينشطون على نطاق واسع خارج مجتمعاتهم الأصلية، ونقلوا تكتيكاتهم إلى حيث يقيمون في معظم أنحاء العالم، وأخطرهم كان أسامة بن لادن

32 - بيليس وسميث، 2004، ص ص 782- 794.

33 - الرأي، 2006، ص 1.

21- بيلس سميث، 2004، ص 788.

وتنظيم القاعدة، الذي وجد ملجأ له في مناطق نائية، امتداداٍ من شرق إفريقيا إلى جنوب آسيا، ومن هناك نشر مجتمعات إرهابية داخل (أوروبا) و(أمريكا).

التوظيف السياسي للاسلام السياسي والتطرف الديني:

بشكلٍ عام؛ يمكن القول إنّ النظرة الغربية لا زالت ترى أنّ الإسلام السياسي (كأيدلوجية)، قاصرٌ عن أن يشكّل أو يتولى الحكم في الدول العصرية، أو حتى التي هي على طريق العصرنة، أو أن يشكِل تهديداٍ، أو منافساٍ، للبرالية. «والواقع أنّ الإسلام يبدو أقرب إلى التأثر بالأفكار اللبرالية، على المدى البعيد، من أن يكون العكس هو الصحيح»، بحسب تأكيد فرنسيس فوكوياما([34]).

وأعتقد بأنّ هذه النظرة الدونية للإسلام، يمكن إلى حدٍ ما، أن تغذّي هذا التطرف وتدفع إلى الإرهاب، خاصّة، أنّه حيثما تولت الحركات المتطرفة الحكم، كانت شرعيتها تقوض دائماٍ، نتيجة أزمات تفرض نفسها على الواقع؛ كأزمة الشرعية التي تنتج عن عجزها عن الالترام بوعود إقامة مجتمعات عادلة ومستقيمة، وهذه الأسباب هي التي تقف وراء تعديل مواقف بعض هذه الحركات، مثل مصر، نتيجة هزيمتها من قبل قوات الأمن. أو لاعتبارات سياسية براغماتية مثل تركيا، أو تجربة حماس في غزة.

لذلك؛ فإنّ المتطرفين المبعدين، واللاجئين السياسيين المنتشرين في العالم، وفي الغرب بالذات، وفي أجزاء أخرى مثل الدول الضعيفة في جنوب شرق آسيا، هم الذين يستمرون باعتناق الأفكار المتطرفة، ومن خلال الأدبيات الكثيرة لخبراء ومحللين غربيين، مهتمين بهذا الشأن، يمكن الملاحظة بسهولة قناعتهم بمثل هذه الطروحات، من خلال استمرار التأكيد على مقولة: إنّ الخلايا الإرهابية وصِلات الوصل النشطة، لا تقيم في الدول العربية؛ بل ينشأ كثير من أعضائها في جنوب شرقي آسيا، لكنّ الشبكات الأخطر تقيم في الغرب، ولعلّ ذلك عائد إلى التجربة التي أفرزتها هجمات 11 سبتمبر، فيما استيقظ الجميع على هول الحقيقة، في أنّ معظم منفِذي الهجمات كانوا يقيمون في (الولايات المتحدة الأمريكية)، ويتحرّكون عبر ألمانيا وإسبانيا وفرنسا. إضافةٍ إلى قناعة بعض المحللين والخبراء الغربيين، بأنّ الإسلام المتطرف يبقى خطراٍ، ليس تهديداٍ كما أسلفت، للسلام والأمن في العالم الغربي، عبر منحه دعامات إيديولوجيةٍ لشبكةٍ إرهابيةٍ دوليةٍ، مع أنّ هناك من يتحدث عن الإسلام الأوروبي، مثل الباحث في الإسلام السياسي الفرنسي، أوليفيه روي، الذي يزعم أنّ الخطر الحقيقي في ظاهرة التطرف الآن؛ هو أنها تتكاثر في أوروبا، ويعاد تصديرها، عمداٍ وبشكلٍ نظامي، إلى الدول الإسلامية([35])، وقد يكون في ذلك بعض الصواب، خاصة إذا نظرنا إلى حجم الإرهابين والمتطرفين من أصول أوروبية وأمريكية، في الجماعات الإرهابية؛ الذين انتشروا في أماكن الصراع في أفغانستان، وباكستان، والعراق، وسوريا، ويقدرٍ عددهم بـ (45) ألف مقاتلٍ، أفرزوا الآن مشكلة عودة المقاتلين الأجانب إلى بلادهم، بعد هزيمة تنظيم داعش في العراق وسوريا وليبيا.

هناك فرضيات كثيرة حول مقاربة الأصولية الإسلاموية؛ من أهمها مثلاٍ: ضرورة أن يكون الإسلام هو المنظم الرئيس لكافة

---

34 [23]- بيليس سميث، 2004، ص 788.

35- تاكيه وغفو سديف، 2005، ص ص 9- 13.

مناحي الحياة، بما فيها السياسية، والاقتصادية، والقانونية، والعلاقات الاجتماعية، مع الإشارة- في نفس الوقت- إلى أنّ خصائص الأصوليين وصفاتهم تميل إلى الاختلاف، تبعاً للمنطقة والثقافة، وأنّ الأصولية الإسلامية ظهرت، في جزءٍ كبيرٍ منها، ردةِ فعلٍ ضدّ السيطرة السياسية والثقافية للغرب؛ لذلك فإنّ التعصب تجاه تأثيرات الغرب، أمريكا تحديداً، يعمّ كثيراً من الدول العربية. وبناءً عليه؛ فإنّه من الضروري فهم الأسباب التاريخية لمحتوى هذه الأصولية، التي نمت وانتشرت بعد الاستقلال من الاستعمار الأجنبي، ومن هذه الأسباب:

1. إنشاء دولة إسرائيل عام 1948م.
2. انتهاء الحرب الباردة.
3. التدخل (الأمريكي) في المنطقة.
4. فشل التجربة القومية في الدول العربية.
5. سيرورة العولمة، من حيث توسع الفجوة بين الشرق والغرب.

ويرتبط بذلك، فرضية أنّ الدين يستخدم، بشكلٍ عام، إضافة إلى الأصولية الإسلاموية، من أطراف فاعلة مختلفة لخدمة أهدافها الساسية.

ويرى بعض المحللين، أنّ أمريكا باتت تستخدم الدين كثيراً في السياسة؛ لذلك فقد عقدت صفقات سرية مع تلك الأنظمة التي تدعوها بالتطرف، مثل إيران، ومع بعض الجماعات والأحزاب التي تتهم بأنها حاضنة الجماعات المتطرفة المختلفة، سواء القاعدة، أو الجهاد الإسلامي، أو التكفيرين، أو جماعة الإخوان المسلمين، وأن الإدارة (الأمريكية) تستخدم أحد أهم الوسائل الاستخبارية للحرب الباردة، وهي إستراتيجية التضليل والخداع، التي مورست من خلال مكتب العمليات الخاص، مدللين على ذلك بتغير لهجة الخطاب (الأمريكي) من الحرب على الإرهاب، إلى نشر الديمقراطية، وحديث مستشارة الأمن القومي الأمريكي سابقاً، كوندالبزا رايس، عن أنّ بلادها لا تخشى وصول تيارات إسلامية معتدلة إلى السلطة، إذا تم ذلك عبر الوسائل الديمقراطية[36]، ولا يخفى على أي متابع للشأن السياسي، أنّ مشروع الرئيس الأمريكي، باراك أوباما، ووزيرة خارجيته هيلاري كلنتون، في الحزب الديمقراطي، خلال الفرة بين عام 2009 وعام 2016، حتى استلام الرئيس الجمهوري، دونالد ترامب، الرئاسة عام 2017م، كان يتعمد دعم وتسهيل حركة الإسلام السياسي في الوصول إلى السلطة، خاصة دعمه لجماعة الإخوان المسلمين في مصر، ودفع أطراف دولية أخرى لدعم هذا الخيار، مثل: قطر وتركيا.

لذلك؛ فليس من المستغرب أن تبدي أمريكا ليونةٍ كبيرةٍ، تجاه حركات الإسلام السياسي، وأن تدعم جماعة الإخوان في مصر عام 2013، وتدافع عنهم، حتى لو أغضبت حليفتها التقليدية مصر، وهذا يدل، بحسب اعتقادي، على أنّ مسألة التطرف الديني

36- الحوادث الأسبوعية، 2000، ص ص 14- 19.

مسألة ذات صبغة تاريخية سياسية واجتماعية، يصعب معها فصل جوانبها الذاتية المتمثلة في أساسها الديني، عن بقية الأطراف الاجتماعية والاقتصادية والثقافية، وأنّها يمكن أن توظّف بسهولة لتكون أداة لخدمة كافة الأطراف السياسية الفاعلة في النظام العالمي المعاصر، ويجب النظر إليها دائماً من منظور نقدي تحليلي كلّاني، وإلا جانب تحليلنا الصواب.

لقد أكّد مستشار الرئيس السنغالي، الحاج مصطفى الساسي، أنّ تيار التطرف الديني أصبح ظاهرة عالمية، في الحياة الدينية والسياسية والاجتماعية، وأصبح من المستحيل أن نعدّد مظاهرها وأشكالها، وأنّ من أبرز مظاهر التطرف الديني في المجتمع الإسلامي، التشدد في الدعوة إلى القضايا التافهة، دون الاهتمام بالقضايا الكبرى. وفي السياق نفسه؛ أكّد مدير منظمة «كير» في واشنطن، الباحث نهاد عوض، أنّ هناك زيادة لظاهرة التطرف الديني، من خلال الدور الذي تلعبه فئات إسلامية متشددة، في تشويه صورة الإسلام والمسلمين لدى الآخر الغربي في الآونة الأخيرة، وذلك بسبب خطاب تلك الفئات المتشددة، وأفعالها العنيفة، ونسبها إلى الإسلام، مشيراً إلى استطلاع معيّن، صدر عن صحيفة «واشنطن بوست»، في آذار عام 2006، حيث وجد أنّ (1) من (4) أمريكيين، يقرّ بامتلاك رؤى متميزة ضدّ المسلمين، و46% لديهم رؤى سلبية ضد الإسلام، بزيادة مقدارها 7%، مقارنة بموقفهم عقب أحداث 11 أيلول (سبتمبر)، ويرى بعض الخبراء المعنيين بصورة الإسلام في أمريكا، أنّ التوجهات السلبية ضدّ الإسلام «أوقدت جزئياً نتيجة لتصريحات وتقارير إعلامية، تركز، بشكل كلّي تقريباً، على تصرفات المسلمين المتطرفين»[37]، ويلاحظ أنّ ديناميكيات العولمة، المتمثلة بوسائل الاتصالات والإعلام، ساعدت في ترسيخ هذه النظرة إلى الإسلام، فقد عززت التغطية الإعلامية الواسعة (المعولمة)، التي حظيت بها أفكار ابن لادن والظواهري، وأبي مصعب الزرقاوي، وأبو بكر البغدادي، وغيرهم، في زيادة خطورة ظواهر الإسلاموفوبيا، والشعبوية، وجماعات اليمين القومي والديني المتطرفة، وترسيخ النظرة إلى الإسلام في الغرب والعالم؛ على أنّه ديانة دموية، تسعى إلى الهيمنة على العالم، من خلال الإرهاب وأدواته التدميرية.

وأنا أرى أنّ هناك علاقة وترابط قوي بين الدين، وأشكال وأنماط التدين المختلفة، والدولة القومية المعاصرة، وسياستها المختلفة، والاختلال في هذه العلاقة، هي من أهمّ الأسباب التي تؤدي إلى التطرف الديني؛ لذلك قال أحد ابرز منظري اليمين (الألماني) في هذا القرن، كارل شميت: إنّه ليس هنالك مصطلح في علم السياسة الحديث، إلا وكان نتاجُ علمنةٍ لمصطلح (ثيولوجي) أو لاهوتي.

وأعتقد بأنّ التطرف الديني يسحب ويدفع، في الوقت نفسه، قاطرة الإرهاب من خلال الفعل الإرهابي، بما يحشد ويسند دعوات في الغرب، كادت أن تتلاشى؛ كنظرية (صموئيل هنتغتون) لصراع الحضارات، وحصر هذا الصراع الآن بين: الإسلام والغرب، ورسّخ الاعتقاد، في الأوساط الغربية، بأنّ الإسلام بالفعل يمثل تهديداً يتخطى الحدود القومية، وأنّه خصم حضاري مرعب وعنيد[38].

ثالثاً: هل من منعطفٍ للتطرف الديني والإسلام السياسي؟

يقول إيمانويل كانط: إنّ ديناً يعلن الحرب على العقل، سيصبح، مع مرور الزمن، غير قادر على الصمود أمامه، و»إذا كان ثمة شيء

37- الدستور الأردنية، 2006، ص 5.

38- بيليس وسميث، 2004، ص 804.

يحق للإنسان الحديث أن يفخر به، على سائر البشر السابقين؛ هو إيمانه العميق بالحرية، بأنّه كائن حرّ، لا يدين بقدرته على التفكير بنفسه، ومن ثمة، على إعطاء قيمة خلقية لأفعاله، أو لمصيره الخاصّ، إلى أيّة جهة كانت، مهما علت، أو بسطت هيبتها على عقولنا»[39].

مثّلت فلسفة الأنوار في الغرب، عنوان الانعطافة التاريخية العميقة لعصر التنوير، الذي بدأ بالمفكرين؛ جون لوك، وجورج بركلي، وديفيد هيوم، وإيمانويل كانط، فلسفة قائمة على مرتكزات مهمة، مثل: «إنّ الايمان العميق؛ هو ألّا تمارس معتقداتك الدينية بتطرّف ومغالاة وتنطع، بل أن تعمد إلى التفكير في الدين، على نحوٍ كوني، نتقاسم فيه نحن البشر نقاوة ضمائرنا، دين يستوعب الكلّ الحرّ المالك للعقل، دون أن نستثني أحداً من العالمين»[40].

في حقبة العولمة المعاصرة، سواءٍ في الغرب الذي مرّ بعنفٍ وعبر كلّ منعطفات عصر الأنوار، كما نلاحظ اليوم في أوساط اليمين الديني – القومي الأمريكي المتطرف، وتشدده، وتركيزه على الدين كمعبرٍ عن الهوية (الأمريكية)[41]، أو في أوروبا، وتنامي النزعات الشعبوية والقومية المتطرفة، أو في عالمنا العربي والإسلامي، يعود الدين، مرةً تلو مرة، ليكون عنصراً باعثاً على الخوف والحرب والإرهاب والكراهية .

فقد اشتعل الصراع بين المحور الشيعي، وعلى رأسه إيران، معبراً عنه بالحديث عن القوس الشيعي، المنافس للقوس السني، والعودة إلى اللاهوت، والحكم (الثيوقراطي)، حتى إنّ هناك من يرى أنّ تشدد مواقف الساسة الإيرانيين، وتطرّفهم، ما هو إلّا عملية لإلهاء الإيرانيين عن واقعهم اليومي، ومشاكلهم الاقتصادية والاجتماعية، واستنفارهم لمصلحة الحكم (الثيوقراطي) وجاذبية الخمينية.

إنّ من تجليات الفكر الإقصائي المتطرف؛ ما برز من تطور خطير في خطاب هذا الفكر، فقد هاجم زعيم تنظيم القاعدة، أسامة بن لادن، قبل عقدٍ من الزمن، في خطابه الذي ألقاه، في نيسان (إبريل) عام 2006م، المفكرين العرب (الليبراليين)، وحرّض صراحةً على اغتيالهم بطريقة العمل السري، دون الحاجة إلى فتوى أو مشورة، وإن دلّ ذلك على شيء؛ إنما يدل على انتصار مذهب (الليبرالية)، وتقدمها في المنطقة، وإفلاس الأصولية الإرهابية، أو ما يطلق عليها بعض المتخصصين «تنظيم القاعدة»، حركة

---

[28]39- طيرشي كمال، 2014، قراءة في كتاب «الدين في حدود مجرّد العقل»، للفيلسوف إيمانويل كانط، ترجمة: فتحي المسكيني، مؤسسة «مؤمنون بلا حدود»، على الرابط : http://www.mominoun.com/articles/%D9%82%D8%B1%D8%A7%D8%A1%D8%A9-%D9%81%D9%8A-%D9%83%D8%AA%D8%A7%D8%A8-%D8%A7%D9%84%D8%AF%D9%8A%D9%86-%D9%81%D9%8A-%D8%AD%D8%AF%D9%88%D8%AF-%D9%85%D8%AC%D8%B1%D8%AF-%D8%A7%D9%84%D8%B9%D9%82%D9%84-%D9%84%D9%84%D9%81%D9%8A%D9%84%D8%B3%D9%88%D9%81-%D8%A5%D9%8A%D9%85%D8%A7%D9%86%D9%88%D9%8A%D9%84-%D9%83%D8%A7%D9%86%D8%B7-232

40 - المرجع السابق.

41 - هنتنغتون، 2005، ص ص 359- 360.

الرفض والغضب الإسلامي[42].

إنّ هذه العقلية المتطرفة؛ هي التي تحكم ساحة الفكر الديني، وخطابه التحريضي ضدّ المختلفين معه، وإنّ هذا المنهج المتطرف، الإقصائي التخويني، هو أصل الداء في تنامي الفكر العنيف في المنطقة، وإنّ تحوّل الشباب المسلحين إلى قنابل موقوتة ضدّ مجتمعاتهم، وضدّ أنفسهم، ما هو إلا نتيجة لذلك الفكر الإقصائي المتطرف الذي تشربوا منه، وإذا أمعنا النظر في نشوء التطرف تاريخيا في العالم العربي والإسلامي؛ فإننا نلاحظ أنّه، ومنذ سقوط بغداد، بمعنى السقوط الحضاري والانحطاط، بيد المغول، تركز جهد الكتاب ورجال الدين، ابتداءً من ابن تيمية إلى تلميذه ابن قيم الجوزية، وانتهاءً بمحمد بن عبد الوهاب، ويمكن القول وصولاً إلى أبو بكر البغدادي، وإرهاب تنظيم داعش، على جزئية واحدة تتمحور حول محاولة تنقية الدين من البدع، بدعوى أنّ جهل الناس بالدين الحقيقي؛ هو سبب التخلف والانحطاط السائد، وتوقفوا عند هذه الجزئية، غير مدركين، كما يقول خير الدين التونسي: إنّ التنظيم الدينوي أساس متين لاستقامة نظام الدين[43].

لقد سبق أن دعا البابا (بنديكتوس) السادس عشر، في رسالته إلى العالم بمناسبة الفصح، ومنذ عقد من الزمن، إلى التعايش السلمي بين الحضارات والأديان في العالم، وتمنى أن تتعزز لدى مسؤولي الأمم والمنظمات الدولية، الرغبة في التوصل إلى تعايش سلمي بين الإثنيات والثقافات، والديانات تبعد خطر الإرهاب[44].

إنّ النوايا الطيبة ودعوات الخير موجودة، سواء كانت من المسلمين، أو المسيحيين، أو اليهود، أو غيرهم. لكنّ واقع الأمر شيء آخر، وشكل العلاقات الدولية آخذٍ بالتغير، تسحبه بشدة ديناميكيات العولمة، خاصة بمحركها التكنولوجي، ذلك أنّ عملية نقل أحداث التطرف والإرهاب عبر وسائل الإعلام، تخلق تعبئة فورية لمحركات الإرهاب، وتمتدّ بالذرائع، كي يتحفز أكثر، وينفعل أكثر، بفعل التكثيف الطاغي للخبر، الذي تنقله محركات العولمة عبر العالم، وتوزعه على الطرفين المتحاربين، بمستويات أعلى في كلّ مرة.

وقد سبق وأن دافع رجل الدين البوذي، الدالاي لاما، قبل زمن من ظهور تنظيم داعش عن الإسلام، واتهامه بالإرهاب والتطرف، واصفاً الإرهاب والتطرف بأنّه: خطأ مأساوي، يمكن أن يرتكبه أتباع الأديان الأخرى أيضاً، وأضاف أنّ الهجمات الانتحارية، وأعمال العنف، شوّهت صورة الإسلام، وأنّ الأشرار ليسوا فقط داخل صفوف المسلمين؛ بل يتواجدون أيضاً بين الهندوس، والمسيحيين، والبوذيين، مؤكداً أنّ كلّ ديانة تضم أشراراً في صفوف أتباعها.

وسبق أن دعا أحد أئمة ولاية كاليفورنيا، مهدي خورسابي، إلى إنشاء أمم متحدة للديانة، وبرلمان للأديان في مدينة سان-فرانسيسكو؛ التي شهدت إنشاء منظمة الأمم المتحدة، وذلك بهدف التقريب بين الأديان كافة، وزعزعة أسس التطرف والإرهاب، فإذا كان الإرهاب قد تعولم، فإن وسائل مكافحته يجب أن تكون على نفس المستوى من الأهلية، وإلا فإنّ الفوضى هي البديل[45].

42- خاشقجي أحمد جمال، 2006، ص 13.
43- الحديثي نزار، 1986، ص 237.
44- الرأي الأردنية، 2006، ص 27.
45 الدستور الأردنية، 2006، ص 13.

ومن الملاحظ؛ أنّ المنظومة المعرفية العامة للإسلام السياسي، بشكل عام، والتطرف الديني الإسلاموي المفضي إلى الإرهاب الحالي، يستند إلى فكر الحركة الأصولية الإسلامية الحديثة، الذي يقدّس النّص، ويحبس نفسه داخل صندوق النصوص المقدسة، وأنّ عمله بالتأويل، استخدمه فقط لتطويع حقائق الأرض والمشكلات اليومية للبشر مع هذا النص الفولاذي. وأعلام هذا التيار الفكري التقليدي، هم: راشد الغنوشي، حسن الترابي، يوسف القرضاوي، هذا التيار الذي ما يزال يرفض مشروع الحداثة الفكرية، ويركز، بدلاً من ذلك، على ضرورة التغلب على الواقع الراهن المأزوم، من خلال تجاوزه، عقائدياً ونفسياً، كشرط لتحويله عملياً، وعلى أنّ خطاب الانكفاء الديني، الخيالي وغير الواقعي، قد وجد مكمله في خصمه المتمثل بخطاب الانفتاح السوقي، بمصلحيّته الضيقة وعدميته[46].

بشكل عام؛ لا يزال الدين، وسيبقى، يستخدم في السياسة الدولية والعالمية، ويرتبط الدين بالسياسة والاقتصاد في الشرق الأوسط، بشكلٍ كبيرٍ وعميقٍ؛ فقد سبق أن ذكر(جون فوسيردلاس) أنّ منطقة الشرق الأوسط تعوم على بحرين: النفط والإسلام.

على المستوى السياسي العملي؛ يمكن القول إنّ «الإسلام السياسي» تعرض لمنعطفه الأول في حقبة العولمة الحالية، وتجلى ذلك، بوضوح شديد، في فشل نموذج الحكم الإخواني في مصر، عام 2013م . فيما تعرّض التطرف الديني الإسلاموي، كتجلٍ للإسلام السياسي، لمنعطفه الأول؛ المتمثل بهزيمة تنظيم داعش الإرهابي في الموصل والرقة عام 2017م.

خاتمة :

يبقى السؤال: إلى أين سيؤدي بنا هذا المنعطف؟ هل سيأخذنا إلى الأمام بخطٍ مستقيم أم متعرّج؟ وهل سيعود بنا لنبقى ندور في حلقة مفرغة بشكل دائري؟

إنّ خطورة الأمر، بحسب اعتقادي، تأتي من فرضية إمكانية تجديد الإسلام السياسي لجلده، إذا نظرنا إلى مشروع الإسلام السياسي، على أنّه تجارب قائمة، سواء كانت شيعية مثل إيران، كطرف فاعل من الدول. أو أطراف فاعلة أقل من الدولة، مثل حزب الله في لبنان، أو الحوثيين في اليمن. أو إقامة الخلافة على منهج النبوة، كما تدّعي الجماعات الإرهابية المعاصرة مثل داعش، كفكرة ملهمة مرتبطة بالإسلام، أو الإسلام الصحيح، أو الأصول. دون أن يتم إيجاد المعادل الموضوعي، الذي يمكّننا من مغادرة هذا الطريق إلى طريقٍ آخر، يقوم على فكرة المواطنة، والدولة المدنية، واحترام الدين وكلّ أشكال التدين لجميع المواطنين.

46- غليون برهان، 1994، ص ص 253- 254.

المراجـــع العربية:

- ألموند جابرئيل، وباويل بنجهام, السياسات المقارنة في وقتنا الحاضر: نظرة عالمية، ترجمة: هشام عبد الله، مراجعة: سمير نصار, دار الأهلية للنشر والتوزيع، عمان، الطبعة الأولى، ١٩٩٨م.

- الأنصاري، عبد الحميد، من تجليات الفكر الإقصائي، مقالة منشورة في صحيفة الغد الأردنية، العدد ٦٤٢، ٢٠٠٦/٥/٩م

- ابن منظور، لسان العرب، ج ٥، ط ٣، دار إحياء التراث العربي، بيروت-لبنان، ص ٢١٥.

- الحديثي نزار، تطور الفكر القومي العربي، مركز دراسات الوحدة العربية، مجموعة باحثين بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٨٦.

- الحسين عبد الله بن محمد، فتنة التكفير والحاكمية، الطبعة الأولى، مطبعة السفير، الرياض، ١٩٩٥م.

- الخالدي صلاح، تهذيب كتاب: مشارع الأشواق إلى مصارع العشاق في فضائل الجهاد، للإمام أحمد بن إبراهيم الشماس، الطبعة الأولى، دار النفائس للنشر والتوزيع، عمان- الأردن، ١٩٩٩م.

- الشرفات سعود، (6102)، خرافة الدين والتسامح: إسلام المجتمع المأزوم، مؤسّسة «مؤمنون بلا حدود»، نوفمبر 6102، قسم: الدين وقضايا المجتمع الراهنة، على الرابط:

http://www.mominoun.com/articles/%D8%AE%D8%B1%D8%A7%D9%81%D%A9-%D8%A7%D9%84%D8%AF%D9%8A%D9%86-%D9%88%D8%A7%D9%84%D8%AA%D8%B3%D8%A7%D9%85%D8%AD-%D8%A5%D8%B3%D9%84%D8%A7%D9%85-%D8%A7%D9%84%D9%85%D8%AC%D8%AA%D9%85%D8%B9-%D8%A7%D9%84%D9%85%D8%A3%D8%B2%D9%88%D9%85-4495،

- الشرفي عبد المجيد، (7102)، تحوّلات المؤسّسة الدينيّة في زمن العولمة، مؤسسة «مؤمنون بلا حدود»، على الرابط:

http://www.mominoun.com/articles/تحولات-المؤسسة-الدينية-في-زمن-العولم/

- باومان زيجمونت، (6102)، الحداثة السائلة، ترجمة: حجاج أبو جبر، تقديم: هبة رؤوف عزت، الشبكة العربية للأبحاث والنشر، الطبعة الأولى، بيروت.

- بورادوري جيوفانا، (3102)، الفلسفة في زمن الإرهاب: حوارات مع يورغن هابرماس وجاك دريدا، ترجمة وتقديم: خلدون النبواني، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، بيروت، الطبعة الأولى.

- بيليس جون، وسميث ستيف، عولمة السياسة العالمية، ترجمة ونشر: مركز الخليج للأبحاث الطبعة الأولى، 4002م.

- تاكيه راي وغفو سديف، نيكولاس، نشوء الإسلام السياسي الراديكالي وانهياره، ترجمة: حسان بستاني، دار الساقي، بيروت، الطبعة الأولى، 5002.

- جلال، محمد نعمان، مقالة: قراءة في التيار الديني، صحيفة العرب اليوم الأردنية، العدد 7423، 6002/5/1.

- خاشقجي، احمد جمال، حكمتيار يقبل بزعامة غيره، مقالة منشورة في صحيفة الغد الأردنية، العدد 246،6002/5/9م.

- شاخت جوزيف، بوزورث كليفورد، تراث الإسلام، الجزء الأول، ترجمة السمهوري محمد وزملائه، تعليق وتحقيق مصطفى، شاكر، مراجعة، زكريا فؤاد، سلسلة عالم المعرفة، الطبعة الثالثة، الكويت 8791م.

- صحيفة الدستور الأردنية، الدلالي لا ما يدافع عن الإسلام، ص 31، 71/ 4/ 6002م، العدد 71931.

- صحيفة العرب اليوم الأردنية، بوتين ينتقد بشدة الموازنة العسكرية لأمريكا، العدد 7532، 11/ 5/ 6002م.

- عنفار سيدي الجاش، 6102، لماذا لا يتظاهر المسلمون ضد داعش؟ نتائج الاستطلاع على صفحة قناة «الحرة»، على الرابط:

https://www.alhurra.com/a/why-arabs-do-not-protest-against- isis/304080.html

- غليون برهان، المحنه العربية، الدولة ضد الأمة، الطبعة الثانية، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، 4991م.

- فوده، فرج، مقالة بعنوان الحقيقة الغائبة في مجلة جسور العدد 01، السنة الأولى، كانون أول 5002م، على الموقع:

www.josor.net./article_detials.php?thesid=12898catid=57

- ماركوز هربرت، 3791، الإنسان ذو البعد الواحد، ترجمة: جورج طرابيشي، دار الآداب، بيروت، الطبعة الثالثة.

- مجلة الحوادث الأسبوعية، موضوع الغلاف، العدد 6652، 6002م.

- مجلة التسامح الفصلية، وزارة الأوقاف والشؤون الدينية العُمانية، مؤسسة عُمان للصحافة والأنباء والنشر، السنة الثالثة، العدد 21، 5002م.

- هنتنغتون، صامويل، من نحن: التحديات التي تواجه الهوية الأمريكية، ترجمة: حسام الدين خضور، دار الرأي لنشر، الطبعة الأولى، دمشق 5002م.

- هوفر، إريك، (0102)، المؤمن الصادق: أفكار حول طبيعة الحركات الجماهيرية، ترجمة: غازي القصيبي، هيئة أبوظبي للثقافة والتراث، كلمة.

المراجـــــــع الأجنبية:

,cimalsI ,malsI gnicudortni ,nhoJ trevlaC&delahK ,ldaflE ubA
tsriF,AP,llamoorB ,srehsilbuP tserC nosaM ,msilatnemadnuF
.tnemeergasiD fo trA gniyD ehT(7102) terB ,snehpetS4002,gnitnirP

-tra-gniyd/noinipo/42/90/7102/moc.semityn.www//:sptth
a&snehpetS terbF2%nmulocF2%noitcelloc=ferr?lmth.tnemeergasidfo
rts=eludom&maerts=noiger&noinipo=noitcelloCtnetnoc&kcilc=noitc
noitcelloc=epytgp&1=tnemecalPtnetnoc&tsetal=noisrev&tinu_mae

,cimalsI ,malsI gnicudortni ,nhoJ trevlaC&delahK ,ldaflE ubA
tsriF,AP,llamoorB ,srehsilbuP tserC nosaM ,msilatnemadnuF
4002,gnitnirP

.www//:sptth .tnemeergasiD fo trA gniyD ehT(7102) terB ,snehpetS
err?lmth.tnemeergasidfo-tra-gniyd/noinipo/42/90/7102/moc.semityn

lloCtnetnoc&kcilc=noitca&snehpetS terbF2%nmulocF2%noitcelloc=f
tsetal=noisrev&tinu_maerts=eludom&maerts=noiger&noinipo=noitce
noitcelloc=epytgp&1=tnemecalPtnetnoc&

snossel :pmurT fo ega eht ni msinairatilatoT ,(7102) smailliW eoZ
/7102/swen-su/moc.naidraugeht.www//:sptth ,tdnerA hannaH morf
-hannah-morf-snossel-pmurt-dlanod-ega-ni-msinairatilatot/10/bef
.stsetorp-tdnera

D%58%9D%CA%8D%A8%9D%2B%8D%/ikiw/gro.aidepikiw.ra://sptth
68%9D%7A%8D%58%9D%88%9D%8A%8D%_AA%8D%68%9D%88%9
.9-eton_etic#

- الرأي الأردنية عن صحيفة بيلد الألمانية، بوش، الإسلام الحقيقي دين سلمي، العدد ١٣٠٠٩، ٩/ ٥/ ٢٠٠٦م.

- الشرفات سعود، (٢٠١٦)، خرافة الدين والتسامح: إسلام المجتمع المأزوم، مؤسّسة «مؤمنون بلا حدود»، نوفمبر 2016، قسم: الدين وقضايا المجتمع الراهنة، على الرابط:

http://www.mominoun.com/articles/%D8%AE%D8%B1%D8%A7%D9%81%D%A9-%D8%A7%D9%84%D8%AF%D9%8A%D9%86-%D9%88%D8%A7%D9%84%D8%AA%D8%B3%D8%A7%D9%85%D8%AD-%D8%A5%D8%B3%D9%84%D8%A7%D9%85-%D8%A7%D9%84%D9%85%D8%AC%D8%AA%D9%85%D8%B9-%D8%A7%D9%84%D9%85%D8%A3%D8%B2%D9%88%D9%85-4495،

- الشرفي عبد المجيد، (٢٠١٧)، تحوّلات المؤسّسة الدينيّة في زمن العولمة، مؤسسة «مؤمنون بلا حدود»، على الرابط:

hafryatnews

hafryat news

hafryatnews

صحيفة حفريّات تصدر عن مركز دال

35 شارع إسراء المهندسين ـ ميدان لبنان

الجيزة ـ جمهوريّة مصر العربيّة

www.hafryat.com

All rights reserved © 2017

www.hafryat.com

جميع الحقوق محفوظة © 2017

www.hafryat.com